
قصص
العصبي
أحمد رمضان
دار ليلى

العصبي

أحمد رمضان

كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة
دار ليلى

الكتاب:
العصبي
المؤلف:
أحمد رمضان
★★★
الغلاف:
محمد محمود
★★★
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★

المهندسين-23 شارع السودان—تقاطع مصدق-الدور الرابع—مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)
الموقع الرسمي: www. darlila. com البريد الإليكتروني: mail@darlila. com

أحمد رمضان

العصبي



ورقة

أجتاز الطفل الشارع رغم السيارات العابرة بسرعة .. حمل بضاعته الرخيصة على ظهره و بدأ يطرق نوافذ السيارات منادياً عليها .. رمقه بعض أصحاب السيارات بلا مبالاة .. و البعض بأستنكار أحياناً خاصة عندما يواصل الطرق على النوافذ بألحاح .. تلقى كلمات السباب من بعض السائقين و قابلها بأبتسامة بلهاء .. أنتقل إلى شارع آخر .. لساعات ظل يتنقل و يدور بين السيارات .. تملكه التعب قليلاً فأتجه إلى الرصيف .. جلس عليه يستريح لبرهة و يستعيد أنفاسه اللاهثة .. رمى بضاعته بجانبه و أحصى نقوده القليلة .. رفع عينيه للشمس التى تحرقه بحرارتها .. تلفت حوله بحثاً عن شئ يستظل به .. لم يجد سوى صفحة شبه ممزقة .. صفحة من جريدة قديمة حملها الهواء حتى أستقرت على بعد خطوات منه .. ألتقطها و طواها على رأسه .. نظر للشارع منتظراً أغلاق الأشارة الضوئية حتى ينطلق مرة أخرى .. مسح بضع قطرات من العرق بطرف قميصه المتسخ .. هبت نسمة من الريح أطارت الصفحة من قبضة يده الضعيفة .. ألتقطها مرة أخرى قبل أن تطير بعيداً .. و قبل أن يضعها على رأسه مرة أخرى لمح صورة فيها .. بسط الصفحة أمامه قليلاً .. صورة عائلة صغيرة .. أب و أم يحتضنان أبناءهما بسعادة .. لم يدرك أنه أعلان .. لم يكن يجيد القراءة و

الكتابة على أى حال .. كل ما لفت نظره تلك الأبتسامة التى تضئ وجه كل واحد منهم و قد لفت الأم بيدها على الأبناء من جهة .. و الأب من جهة أخرى .. سرح قليلاً مع الصورة .. أرتسمت على وجهه بلا وعى أبتسامة صغيرة قتلتها أشعة الشمس الحارقة .. أنتبه فأحكم وضع الصفحة فوق رأسه مرة أخرى .. شرد بعيداً و تساءل فى حيرة .. لماذا يبتسم الأبناء فى الصورة بهذا الشكل .. ربما سببه الأحساس الأمان .. ذلك الأحساس الذى لم يعرفه منذ هرب من الملجأ لقسوة المعاملة هناك .. و قبلها لم يعرف معنى العائلة .. ألتقطوه صغيراً من أحد الحقول المهجورة و لم يستدلوا على أهله .. هكذا أخبروه فى الملجأ .. عندما يسمع أحداً يتكلم عن العائلة يشعر بشئ غامض .. ربما لأنه لم يعرف يوماً معنى تلك الكلمة أو يدرك قيمتها .. حرص كثيراً على أن يعرف معناها لكنه فشل .. منذ هرب من الملجأ لعب عدة مرات فى الشارع مع أطفال فى مثل عمره .. بعضهم يمنعه من اللعب معهم بتأفف ، و البعض يقبلوه بلا أهتمام .. عندما يرى كل واحد منهم يتكلم عن عائلته يلتقط أحاديثهم بتركيز وأهتمام .. لم يستطع أن يكون صورة واضحة رغم ذلك .. و لكنه يشعر أنهم يتكلمون عنها بلهجة تحمل كثيراً من الشعور بالأمان و الدفء .. الشعور الذى أفتقده دوماً

أنتبه على صوت فرملة سيارة .. أغلقت الأشارة الضوئية الآن .. ألتقط بضاعته التى وضعها على الرصيف بجواره .. نحى الورقة جانباً .. أنطلق

بسرعة يسابق الزمن ليعرض بضاعته لأصحاب السيارات المنتظرة .. ألتقطت عيناه أحد السيارات على الجانب البعيد تبدو فارهه .. تقودها أمرأة بجوارها طفل ربما تعطف عليه و تعطيه بعض النقود .. أنطلق يقصدها .. لم ينتبه أن سيارة أخرى تأتى مسرعة رغم توقف الأشارة .. لم يشعر سوى بلفحة قوية من الهواء ترتطم بوجهه .. فرمل صاحب السيارة فورا بمجرد أن عبر الطفل أمامه .. و تجمد هو فى مكانه و هو يرى الجسم المعدنى المنطلق بسرعة نحوه .. قبل أن يغمض عينيه حتى لا يرى يد الموت الممتدة نحوه ، صدمته السيارة بقسوة

توقفت الحركة فى الشارع .. نزل صاحب السيارة فوراً و هو ينهال بالشتائم على الطفل الذى عبر أمامه فجأه .. تجمع المارة حول كتلة اللحم و الدم الجديدة الملقاة على الطريق .. الطفل ممدد على ظهره تنساب منه بركة دماء تزداد تدريجياً .. بيده ما زال يقبض على كيس ممزق يحمل فيه بضاعته التى تناثرت محتوياتها بعيداً .. أسرع شخص ما يخترق الجمع بصعوبة صائحاً بالناس أنه طبيب .. ما زالت قدما الطفل تنتفضان بشكل طفيف بينما سكن باقى جسده تقريباً .. لحظات كشف عليه الطبيب كانت أنتفاضة قدميه قد هدأت تماماً و سكن جسده بينما عيناه لا زالتا مفتوحتان تتطلعان بشرود إلى نقطة ما بعيدة غير مرئية .. هز الطبيب رأسه بأسف .. دارى البعض أعينهم ، بينما تناثرت همهمات أسف بين المارين المتوقفين ..

ألقى أحد المارة نظرة على الجثة الحديثة مفتوحة العينين .. بحث فى المكان عن شئ يغطيها به .. أختفى لثوان ثم عاد .. تقدم مخترقاً الحشود .. غطى وجهه بورقة من صحيفة لم يجد غيرها بعد أن سبل عينيه برفق .. أمتصت الورقة دماء الطفل فوراً .. ورقة من صحيفة قديمة لم يلاحظ أن على ظهرها ترتسم بوضوح .. صورة عائلة صغيرة تبتسم بدفء

معلش

أندفع فى براءة ليلعب مع أبن الجيران .. لم يخجل سعيد من ملابسه القديمة أو حذائه الممزق بينما يرتدى الأولاد أفضل ملابسهم فى العيد .. لم يكن فى سن تسمح له بأدراك الفرق بين الغنى و الفقير .. أو تمييز وجود مسافات تفصل بينهما .. و ربما لهذا السبب لم يخجل .. وقف مع نبيل أبن الجيران الذى عاد والده للتو من الخليج محملاً بلعب كثيرة و دراجة جديدة .. تباهى نبيل وسط أقرانه بالعيدية الكبيرة التى تحصل عليها من والده .. لم يحقد سعيد عليه .. صحيح أنه تمنى بشدة أن تكون له لعب كثيرة مثل لعبه .. و لكن قلبه البكر لم يعرف معنى الحقد عليه .. أعجبته الدراجة الصغيرة بألوانها الزاهية فلم يطلب من صديقه سوى أن يسمح له بركوب دراجته قليلاً .. نظر إليه نبيل بأشمئزاز .. رفض طلبه بغضب .. أقترب منه سعيد مرة أخرى ليتوسل إليه مكرراً طلبه .. و لكنه دفعه بقوة جعلته يسقط على الأرض .. فى تلك اللحظة دلف والد سعيد إلى الحارة .. عاد للتو مرهقاً من عمله كعامل سكة حديد رغم أجازة العيد التى يتمتع بها كل الناس .. لمح أبنه على الأرض .. أندفع إليه .. ساعده على النهوض .. كف الأطفال عن السخرية منه عندما رأوا أبيه و أن لم يكفوا عن التطلع نحوه بأستهزاء .. سار به بعيداً .. ربت على كتفه بحنان .. نظر إليه فى عينيه و

قال له مشجعاً " معلش .. بكرة تبقى أحسن منهم "

رنت كلمات أبيه في أذنيه .. ظل يتذكرها طويلاً .. سنوات عدة مرت عليه بعدها توفى فيها والده .. أجتهد سعيد في دراسته .. تخرج من كليته ليواجه حياة قاسية .. عمل بكل المهن الممكنة لشاب في سنه .. لم ترأف به الحياة و أدارت له وجهها القاسي .. تنقل بين الوظائف لا يكاد يستقر في أي منها .. يعمل كبائع .. محاسب في محل صغير .. عامل في مصنع .. يعمل في أكثر من وظيفة أحياناً .. يجتهد ليحقق ما يحلم به .. يسهر كثيراً .. و يتعب كثيراً .. سنوات و كل ما يجنيه ليس إلا القليل .. مع الأيام ينحل جسده و لكن عزيمته تزداد صلابة ، ومعها ثقته بنفسه .. يجمع كل ما يكسبه .. يبدأ مشروعاً صغيراً مع بعض أصدقائه .. لم يلبث أن يفشل ليخسر معظم مدخراته البسيطة .. لا ييأس .. يمنحه القدر فرصة سفر للخارج أهداها له صديقه فؤاد الذى تحصل عليها و لكنه فضل عدم السفر لظروف أسرية .. يسافر سعيد .. تمر عليه سنوات الغربة ثقيلة .. يرجع بعد عدة سنوات بجسد معتل ، و مبلغ من المال يبدأ به مشروعاً أخر .. يتعلم من تجربته الأولى .. يصر تلك المرة على النجاح ، لن يتحمل عواقب خسارة أخرى .. يتعب حتى يدفع تجارته نحو الأستقرار .. يخضع لفترة لتقلبات السوق فترتفع به أحياناً ، و تهوى به إلى القاع أحياناً أخرى .. و لكنه يغامر بكل طاقته و ما يملكه .. تمر عليه فترات طويلة

صعبة ، يزحف اليأس إليه أكثر من مرة و لكنه يقاوم .. لا يريد تذوق مرارة الفشل مجدداً ، و لن يمكنه الصمود أمام تجربة محبطة أخرى .. شهور تواترت عليه ببطء قبل أن يرى تجارته تزدهر .. تعلم أن يحافظ على كل قرش يجنيه ليعود فيستثمره مرة أخرى فى تجارته لتنمو أكبر .. و ينمو أسمه معها .. يقضي يومه بالكامل فى العمل لا يعرف معنى الراحة و لا يتذوق لذتها .. يمنح عمله عمره و وقته بلا حساب .. تبتسم له الحياة أخيراً .. تستقر تجارته بعد طول تعثر .. و يبدأ فى جنى أولى ثمار عمله .. و لأول مرة بعد سنوات مريرة من العمل بلا كلل أو توقف .. ينتابه شعور بالأمان لم يختبره من قبل ..

ينظر لوجهه يوماً فى المرآة .. هاله الشعر الأبيض الذى يزحف على رأسه .. مرت الأيام بشكل أسرع من حساباته .. لم يدرك أن عمره يقترب من الأربعين .. لم يفكر يوماً فى الزواج .. فحياته بأكملها كانت لتجارته .. خطب مرة واحدة بمجرد أن عاد من السفر.. و لكنها فشلت سريعاً .. ربما لأنه لم يحاول جدياً تغيير نمط حياته المضطرب .. يخرج فى الصباح الباكر و لا يعود من عمله إلا عند منتصف الليل ..أتهمته خطيبته بالأنانية و البخل .. لم يكن أنانياً و لكن قسوة السوق أستنزفت مشاعره ، و كل مليم كان يكسبه ظل يوفره خوفاً من تقلبات السوق على تجارته الهشة قبل أن تستقر .. أنتبه بعد أن أبتسمت له الدنيا أخيراً .. لا تعجبه فكرة أن يقضى

ما تبقي من عمره وحيداً .. بلا طفل حتى يرثه .. بدأ جدياً فى البحث عن زوجة تشاركه مصيره .. طال بحثه حتى أهتدى أخيراً لمن أرتاح لها قلبه .. أبتاع بيتاً كبيراً فى الحارة التى شهدت أيام فقره .. أشترى أفضل الأثاث ، و أقام حفل زفاف تكلم عنه الناس كثيراً .. تزوج و لم يعد ينقصه سوى ولى العهد الذى يحمل أسمه ، و يرث تجارته بعد عمر يتمنى أن يكفى ليراه شاباً يافعاً أمامه .. تنقضى الأيام سريعاً .. جميلة و لكن بدون أى بوادر لقدوم طفله المرتقب .. يتنقل بين كثير من الأطباء بلا فائدة .. يجمع الأطباء على أنه لا يوجد عيب منه أو من زوجته يمنعهما من الأنجاب .. ينصحونه بالصبر .. لم يعد يحب تلك الكلمة .. يريد أن يلغيها من قاموس حياته للأبد .. عامان يمران و الصبر يتجرعه كدواء مر .. لأول مرة فى حياته يندم .. تمنى لو تزوج مبكراً .. أخيراً تظهر بوادر الحمل عند زوجته .. يطير من الفرح .. يترك عمله كثيراً و يسهر بجانبها لرعايتها .. يراقب بطنها و هى تكبر ببطء يوماً عن يوم .. يحصى الأيام و يعد الدقائق لقدوم أبنه .. و تلد زوجته .. يحمل أبنه و هو يبكى فرحاً .. يحتضنه و شعور خاص يجتاحه لم يتذوقه من قبل .. يراقبه يكبر يوماً بعد يوم بشغف .. يتابع كل تفاصيل حياته مهما كانت صغيرة بلهفة .. يعود من عمله مبكراً أحياناً فقط ليقضى وقتاً أطول معه ، و لا يكاد يفترق عنه طوال فترة تواجده في المنزل .. ينمو الولد أمامه و هو يرقبه بسعادة .. تعهد أن لا يبخل عليه

بأى شئ .. يأتى إليه بكل ما يتمناه .. لا يريده أن يتذوق كأس الحرمان التى تجرعها صغيراً .. يكبر الولد ليبدأ اللهو مع أقرانه فى الحاره .. يضايقه قليلاً الأمر .. لا يرغب أن يختلط أبنه بأطفال الحارة الفقراء .. يفكر فى تغيير بيته و الأنتقال إلى مكان آخر ليوفر بيئة أفضل لطفله .. و لكن زوجته تعارض قراره ، فهى ترغب أن تبقى بجوار أهلها .. يؤجل مرغماً الفكرة لوقت آخر ..

يرجع من عمله يوماً مرهقاً .. أبنه يلعب مع أطفال الحارة .. يسمح لهم بأستخدام لعبه التى أشتراها له .. تبهرهم لعبه الجديدة التى لا يمتلكون مثلها .. يقف لتحية أحد أصدقائه بمقربة من أبنه .. ينشغل بالحديث معه .. بعد قليل يصل إلى سمعه صراخ أبنه العالى .. يهرع إليه على الفور و قلبه يرتجف .. أحد أطفال الحارة كسر له لعبته المفضلة و هو يلهو بها .. و أبنه يصيح به بغضب .. يتجه للطفل الذى تسمر فى مكانه خائفاً و بيده اللعبة التى كسرها بدون قصد .. ينظر لملابسه المتسخة .. ينهره بعنف و هو يربت على كتف أبنه بحنان .. يطرق الطفل للأرض بخجل و جسده الضئيل يرتجف .. لا ينتبه سعيد لقدوم والد الطفل .. لم يكن سوى فؤاد صديقه القديم .. أعز أصدقائه الذى فضله على نفسه و منحه فرصة للسفر .. الدنيا لم تبتسم له كما فعلت مع سعيد .. يترك دكانه البسيط على ناصية الحارة و يهرع ليشهد الموقف .. أبن فؤاد ما زال فى مكانه لم يتزحزح و قد

بدأت الدموع تفلت من عينيه قهراً .. ينظر فؤاد بدهشة لصديقه القديم الذى وشت ملامحه بغضب تام .. يدنو من أبنه و هو ما زال ينظر إليه بعدم تصديق .. لم يعد يعرفه .. تغير كثيراً فلم يعد يميز صديق عمره القديم .. يحتضن أبنه الخائف .. يتألم و هو يرى دموعه التى أنسابت رغماً عنه .. يبتعد به و هو يشعر بمرارة فى حلقه .. بينما مازال الأطفال يواصلون همساً السخرية منه .. يربت على كتفه بحنان بالغ .. يميل عليه مشفقاً .. يهمس فى أذنه برفق و هو يحتضنه " ماتزعلش يا حبيبى .. معلش .. بكرة أن شاء الله هتبقى أحسن منهم "

الساقية المهجورة

كانت الشمس قد بدأت تغادر المكان تاركه مكانها للظلام الذى نشر خيوطه على الطريق الترابى الممتد ما بين القرية الهادئة و الحقول البعيدة عنها .

أسرع حمدان فى الركوب عائداً إلى قريته بعد يوم طويل مرهق .. أضطر للبقاء فى أرضه لفترة أطول على غير المألوف .. لم يعتاد الرجوع فى الظلام .. و لكن للضرورة أحكام .. أنتهى متأخراً من رى أرضه بعد عطب طارئ أصاب ماكينة الرى الوحيدة لديه .. أستمر الهواء القوى يعصف بجسده النحيل و هو يستعد للمغادرة .. ربط بهائمه و أمتطى حماره و أسرع بطريق العودة .. لاحت القرية من بعيد كأحجار نرد قديمة متراصة بلا نظام .. طالما تمنى أن تكون له أرض بجوار بيته فيرتاح من مشقة الطريق .. و لكن حلمه ظل حبيس الخيال لا يرى النور كعادة كل أحلامه .. تنهد بأسف .. و لكز حماره بقوة

بدأ قرص الشمس فى التهاوى و حمدان يخطو أولى خطواته على الطريق .. بانت الأشجار و هامات النخيل كأشباح غاضبة تحركها الرياح القوية التى هبت على المكان .. كانت الرؤية صعبة بعد أن ملأ غبار خفيف الجو .. و لكنه لم يهتم .. حماره يحفظ الطريق على أى حال .. كل ما يفكر فيه

وجبة ساخنة و كوب من الشاى عندما يعود يزيح بهما تعب اليوم .. و الأهم أن يحتمى داخل دفء بيته من تلك البرودة التى تميز الشتاء .. أنطلق يشتم حماره الذى يسير ببطء و هو يبحث عن العشب فى جوانب الطريق .. يستحثه على أن يزيد من سرعته .. و كلما أقترب من الساقية المهجورة .. كلما زاد خفقان قلبه .. ذلك المكان الذى يخشى الجميع المرور به ليلاً .. حيث تتناثر الكثير من الحكايات على ألسنة أهل القرية عن أشباح و عفاريت تظهر فيه .. أحياناً تخطف المارة .. و أحياناً تؤذيهم فقط .. يقال أن أمرأة أتفقت مع حبيبها على الهرب و تواعدا على اللقاء عند الساقية .. أنتظرته هناك ولكن أهلها علموا بالأمر .. لحقوا بها و قتلوها.. و من يومها لم تدر الساقية مرة أخرى .. حكى له عمر أبن عمه ذات مرة كيف كان يمرعبر هذا الطريق ليلاً عندما سمع طنين غريب و لدغته حشرة لم يرى مثلها من قبل .. لدغة قوية لدرجة أنها آلمته لعدة أيام .. لا يزال يتذكر كلامه جيداً .. و يتذكر عندما أختفى عطية الذى ذهب قبيل الفجر ليسقى حقله قبل الناس و لكنه لم يرجع .. هنا عثروا على فأسه بجوار الساقية .. صحيح أن ملابسه وجدوها فى الحقل ، و ربما يكون الفأس قد وقع منه فى الطريق .. و المرجح أن عطيه قتله وقتها بعض قطاع الطرق ممن أنتشر شرهم فى تلك الفترة و أخفوا جثته .. و لكن الأشاعات تؤكد على أن أشباح هذا المكان هي السبب .. و أشاعات أخرى عن فلاحين مروا بهذا المكان .. بعضهم

يسمع أصوات أمرأة تبكى .. و أخرين يحكون عن أضواء خافتـة تنبعـث مـن الساقية ليلاً .. بل أن بعضهم كان ينزف دماً عندما يقترب ليلاً من المكـان .. و لكن معظم تلك الحكايات تبدو قديمة مر عليها وقت طويل لا يعلم مداه .. فأمه كانت تنقلها لـه عنـدما كـان مـا زال صـغيراً.. و تبـدو كـتراث خـاص يتناقله أناس قريته.

تلفت حوله بحذر و هو يقترب من الساقية المهجـورة .. الهـواء القـوى بدأ يخمد ولا يسمع سوى صوت عبـث الريـاح الخفيـف بفـروع الأشـجار .. أسرع الخطى و قد بدأت رعشة تسرى فى جسمه لا يدرى أهى مـن الـبرد أم من الخوف .. أو لعله تعب اليوم .. لعن أصدقائه .. لماذا لم ينتظروه مثل كل يوم ليتوجهوا معاً إلى القرية .. يتخيلهم الآن فى بيوتهم يستمتعون بالدفء ، أو لعلهم يتسامرون فى مقهى القرية الوحيد و هم يلعبـون النـرد .. لعـن صديقه سعد بالأخص الذى وعده أن يمر عليه عند أنتهاء اليوم ليعودا معاً و لكنه أخلف وعده .. كان يرى الآن الساقية القديمة بوضوح و بدت مخيفة و أشد كآبة بالنسبة له .. حاول أن يتذكر أى شئ يسعده .. طفت صـور قليلـة فى خياله قبل أن تستقر أخيراً على صورة حبيبته سعاد .. تذكر أبتـسامتها المرحة التى غزت قلبه من أول لحظة رآها .. و لقاءاتـهما المحـدودة المتعـة عندما تذهب إلى الحقل لوالدها تحمـل الطعـام إليـه .. لم ينـسى يـوم تقـدم لخطبتها .. كيف كانت مرتبكة لدرجة أنها سكبت المشروب الساخن عليـه

و هى تقدمه .. أبتسم رغم أرادتــه .. شــهرين فقــط و يــتم زفافهمــا .. نــسى للحظات الطريق و ترك نفسه بأستسلام ســابحاً مــع تيــار أحلامــه .. بينمــا حماره ينهب الطريق ببطء

فجأة توقف الحمار مكانه .. أفاق من أحلامه .. لم يدر لما توقف .. لكزه فى بطنه بعنف .. عاود الحمار المشى لخطوات قليلــة قبــل أن يتوقــف مــرة أخرى .. أطال بصره فى المكان يحاول أخــتراق الظــلام الــذى أحــاط بــه .. و لكنه لم يبصر شيئاً .. ربما لمح الحمار ثعباناُ أو عقرب .. ترجل عن حمــاره .. دار ببصره مرة أخرى فى المكــان بــتمعن دون أن يكتــشف أثــر لجديــد .. أصاغ سمعه فلم يتناهى إليــه ســوى صــوت حفيــف أغــصان الأشــجار و هــى تحركها الرياح .. أمتطى الحمار مرة أخــرى و هــو يــسب و يلعــن .. أهــوى بالعصا على جسمه .. نهق الحمار بقوة و سار بخطوات ثقيلــة إلى الأمــام .. هبت نسمة هواء و معها دوى فى أذن الرجــل صــوت عــواء .. أنقــبض قلــب حمدان تماماً .. أيكون ذئباً .. ألهذا وقف الحمار .. و لكن المنطقة هنا لــيس بها ذئاب .. لحظات من السكون مرت بثقل عليه ثم دوى نفس الصوت مــرة أخرى و لكن هذه المــرة أقــرب ..أنــتفض الحمــار و صــاحبه .. تــشبتت يــدا حمدان على عصاه بقوة و قد أتسعت عيناه على آخرهما يحاول أن يتــبين أى شئ من الظلام المحدق به .. الرياح القوية بدأت تهب مــرة أخــرى .. تكــاد تقتلعه مــن علــى ظهــر حمــاره الــذى يــرفض بعنــاد المــضى قــدماً .. يتــذكر

الحكايات التى قيلت عن المكان .. كل حكاية و كل قصة تطفو الآن بقوة بداخل ذهنه .. تكاد ضربات قلبه تتوقف .. خيل إليه فجأة أنه رأى شبحاً يمر من جواره .. بسرعة كتم أنفاسه .. تجمد الدم فى عروقه .. تيبس جسده تماماً لا يكاد يتنفس .. توقف عقله عن التفكير .. حاول أن يتذكر أى آيات من القرآن و لكنه كان فى حالة لا تسمح له بتذكر أى شئ .. شعر بهواء ساخن يلفح رأسه .. من أين يأتى الهواء الساخن فى ليلة شديدة البرودة كتلك .. تناهى إلى أذنه أصوات تقترب منه .. أصاغ السمع جيداً .. لعلها خيالات تفرضها سطوة المكان ، لكنه لم يكن واهماً .. الأصوات تقترب .. أصوات أقدام .. تجمدت أطرافه .. شل الخوف أدراكه .. مرت لحظات كأنها دهور .. شئ يعبث برأسه فيلتفت فجأة ليصطدم بالظلام .. الأصوات تقترب من خلفه .. خافتة و لكنها واضحة .. أدار رأسه ببطء و حذر شديدين .. رفع قدمه اليسرى لينزل عن حماره .. الصوت يدنو منه .. يتبينه الآن بوضوح .. شئ ما خلفه يقترب منه ببطء كما يشعر .. تناول عصاه و شد عليها بيده .. يتنفس بقوة .. لم يعد يستطيع كتم أنفاسه المتلاحقة .. كان يهم بالنزول من على حماره عندما تحرك الحمار للأمام بغتة .. حركة مفاجئة لم يستطع معها حفظ توازنه .. وقع على الأرض بقوة .. أرتطمت قدمه بعنف بأحد الصخور الناتئة .. صرخ حمدان من الألم .. دوت صرخته فى المكان بعنف لتشق سكون الليل .. حاول أن يقف على

قدميه و لكنه لم يستطع .. تألم بشدة بينما أقترب الصوت منه و الذى سمعه تلك المرة واضحاً .. صوتاً خافتاً يناديه بأسمه

تختلف روايات أهل القرية كلما تذكروا قصة حمدان .. عاد حمدان إلى قريته تلك الليلة و هو يجر قدمه التى تنزف .. لولا صديقه سعد لما أستطاع العودة .. سعد الذى تأخر فى الحقل هو أيضاً و كان فى طريقه عائداً عندما لمح حمدان من بعيد .. لم يتعرف على من يسبقه على الطريق بسبب الظلام فنادى عدة مرات ليتوقف و لكن ضاع صوته مع الرياح القوية .. و عندما وقع حمدان هرع إليه و عرفه .. كانت قدم حمدان فى حالة سيئة و أستمر ينزف بقسوة طوال الطريق الطويل ..أضطروا لنقله إلى مستشفى بعيد حيث لا يتوافر آخر فى القرية الصغيرة فساءت حالته أكثر .. أنتابته حمى و بدأ يهذى بكلمات غير مفهومة عن أشباح و عن الساقية .. أثبت التشخيص وجود كسر مضاعف فى قدمه اليسرى .. حشروا قدمه فى الجبس شهراً .. أبلغوه أنه سيعرج بعد فك الجبس لأنه تأخر كثيراً فى علاج أصابته .. تحولت حياته بعدها للأسوأ لفترة ليست بالقصيرة .. خطيبته هجرته .. قالت أنها لن تتزوج من رجل أعرج .. الأرض تم أهمالها لفترة بعد غياب صاحبها عنها .. حمدان رجع بعد مدة طويلة إلى حياته و إلى عمله .. عاد أكثر شجاعة من قبل رغم قدمه العرجاء .. لا يخاف من أى شئ .. الغريب أنه كان يصر على الذهاب إلى حقله ليلاً ليسقى زرعه قبل الناس .. يمر من

نفس الطريق بلا خوف .. يواجه الناس بأن كل حكايات الساقية المهجورة مجرد أوهام خلقوها .. و أنها سبب ما حدث له .. و لكن أهل القرية لا يصدقونه .. يقولون أن شبح المرأة أخذ قدم حمدان ، و أخذ معها عقله .. و لكنها كانت رحيمه به .. لم تأخذ حياته .. و ما زالوا يضيفون قصة حمدان إلى عشرات القصص التى لا تنتهى عن الساقية المهجورة

العصبى

كان الجميع يعلم أنه عصبى .. هذه ليست المشكلة .. المشكلة أنه كان يعترف بهذا .. كان يعترف أنه عصبى .. سريع الأستثارة .. و مندفع .. و لكنه لم يحاول تغيير ذلك أبداً .. كان ينتابه الغضب و يندفع فى السباب كالسيل العارم لأتفه الأسباب .. و أحياناً بدون أسباب تذكر .. يفقد أعصابه بسهولة فيثور دون أن يبالى بالعواقب .. برميل من البارود قابل للأشتعال فى أى لحظة كما يحلو للبعض أن يصفه .. تلك كانت طبيعته المميزة .. و هكذا مضت حياته .. مشاكل له .. و مأساة للآخرين ممن أوقعهم حظهم العاثر فى دائرة التعامل معه .. جيرانه يخشون الأقتراب منه بعد أن علمتهم التجارب أن الأحتكاك به ينتهى دوماً بنتائج وخيمة .. زملائه فى العمل يواصلون الشكوى منه .. و أصدقائه يتناقصون تدريجياً عاماً بعد آخر .. صحيح أنه يتمتع بصفات كثيرة جيدة .. فهو كريم و " شهم " كما يراه أصدقائه .. و" قلبه أبيض " كما تؤمن زوجته .. و لكن تلك الصفات لم تحسن من صورته كثيراً أمام الناس .. و لم يكن هو يهتم بتحسين صورته على أى حال .. فآراء الناس لم تعد تعنيه .. حيث يعيش على طبيعته كما يؤكد .. و يزعم دوماً أن تصرفات الناس وأفعالهم الخاطئة هى ما تستثير غضبه

حتى مساء أحد الأيام .. كان يشاهد مباراة لكرة القدم .. و فريقه كان مهزوماً .. أنفعل بشدة مع المباراة و نسى نفسه .. و مع أهدار أحد اللاعبين لفرصة تسجيل هدف .. أندفع يكيل الشتائم بدون وعى للاعب .. و لفريقه .. و لكرة القدم كلها . عندما أنتهت المباراة أغلق التلفاز .. أقترب منه أبنه الصغير الذى لم يتعد عمره خمس سنوات .. حضنه بحنان .. رفع الولد رأسه إلى أبيه بفضول .. نظر إليه فى براءة قبل أن يسأله " بابا .. يعنى أيه ابن ال .... ؟ "

صعقته المفاجأة .. لم يصدق ما سمع .. لم يلاحظ أن أبنه الذى كان يلهو ببعض اللعب أمام التلفاز قد سمعه .. بل و حفظ كلماته .. أو بالأصح شتائمه .. و تفاجئ بسؤاله .. لم يجد أجابة تسعفه و لم يدر كيف يتصرف فوقف أمام أبنه عاجزاً .. ندم على أنه تفوه بهذا اللفظ .. و رأى شريط حياته أمامه بكل مشاكلها التى سببها الغضب .. تطلع إلى إبنه بشفقة .. و لأول مرة لم يتمنى أن يشب أبنه مثله .. لم يرغب أن يزرع فى أبنه نفس صفاته السيئة

لم يستطع النوم طوال الليل .. ظل يفكر طويلاً .. يحاسب نفسه حساباً عسيراً و يعاتبها .. فى الصباح كان قد عقد العزم على أمر ما .. قرر فجأة أن يتغير .. شعر أن الغضب يسلبه عقله بالفعل وأنتابه ندم لأول مرة فى حياته .. ندم حقيقى ليس فقط على كل المواقف المحرجة التى سببتها له عصبيته الزائدة و لحظات تهوره .. بل و للمشاكل التى سببها هو للآخرين

.. سهر طوال الليل يفكر .. يلوم نفسه و يحاسبها بقسوة .. كيف سمح لنفسه أن يقع تحت رحمة الغضب ، أن يجتاحه لهذا الحد .. كيف لا يستطيع أن يحفظ لسانه حتى أمام أعز الناس لديه .. صمم على أمر ما و قرر تنفيذه بلا تردد .. يتذكر أن أحد أصدقائه المقربين تحداه مازحاً من قبل بأن ينجح فى قضاء و لو يوم واحد من حياته بلا مشاكل .. بل توقع له الفشل التام و راهنه بشدة على أنه لن يتمكن من ذلك .. فكر فيما قاله بجد تلك الليلة .. هل من الصعب حقاً عليه أن يقوم بأمر مماثل .. لما لا يجرب أن يقضى يوماً واحداً فقط من حياته بلا غضب .. ربما خطوة صغيرة على الطريق الصحيح للتخلص من تلك الحالة التى تفحلت لتسيطر عليه .. فكرة رغم بساطتها قد تكون خطوة أولى قد تغير مجرى حياته بأكملها .. سيتعلم أن يسيطر على أعصابه أكثر .. أن يمنع نفسه من الغضب .. لن يثور لأي سبب و لن يدع غضبه يتحكم به .. لن يتبادل السباب أو ألقاء اللعنات جزافاً على أى شئ أو شخص يستفزه .. و سينجح فى الحفاظ على هدوء أعصابه تحت أى ظرف .. راهن نفسه على النجاح .. أن يكون شخص مثالى و يدع يوماً واحداً من حياته يمر بسلام .. بلا مشاكل من أى نوع .. لن يكون الأمر صعباً .. و سيثبت لنفسه أنه قادر على أن يكون أنساناً أفضل إذا حاول .. صمم على خوض التجربة مهما كانت نتائجها .. و فى الصباح نهض بتفاؤل كبير على النجاح

تناول أفطاره فى حماس .. قبل أبنه الصغير بحنان قبل أن ينزل .. زوجته لم تراه مبتسماً هكذا من قبل .. بخاصة فى بداية يومه .. طلبت منه مبلغاً أضافياً من المال .. منحها أياه بدون أن يسألها عن السبب كالمعتاد .. أسرع بالخروج و قد دب نشاط غريب فى جسده ..

قبل أن يخطو نحو المصعد .. تعثر بشئ ما .. كاد أن يسقط على وجهه .. نهض بسرعة و تطلع بغضب ليرى ماهية الشئ الذى تعثر به .. لم يكن سوى كيس القمامة الخاص بجاره .. وضعه فى منتصف الردهة و ليس أمام شقته كما يفترض .. أحس بالدماء الحارة تسرى إلى عروقه بسرعة و الغضب يجتاحه .. و لكنه تمالك نفسه .. تذكر أنه قطع وعداً لنفسه أن يكون مثالى اليوم .. أغمض عينيه محاولاً أسترداد هدوئه .. و تذكر فجأة نصيحة أحد أصدقائه .. أن يحاول جاهداً ألتماس الأعذار للناس قبل أن يثور عليهم .. واصل التنفس بعمق .. أقنع نفسه بسرعة أن جاره ربما قام بذلك عن غير قصد ، أو ربما أحد الأطفال الأشقياء عبث بالكيس و ركله إلى منتصف الردهة .. شعر بالأرتياح قليلاً لتفسيره الأمرعلى تلك الصورة .. و بعد ساعة أو أقل سيخرج جاره على أى حال إلى عمله الصباحى و بالتأكيد سيعيد كيس القمامة لمكانه .. سرعان ما تمالك رباطة جأشه .. زفر أنفاسه بعمق .. و أنتابه شعور بالراحة لنجاحه فى كبت تيار غضبه قبل أن يتافقم

توقف أمام المصعد و ضغط المفتاح .. أنتظر طويلاً .. المصعد لا يتحرك من

الطابق الأول .. تريث فترة أطول بلا جدوى .. قرر أن يهبط علـى الـدرج .. لايضايقه أكثر من أستخدام الدرج فهو ليس شخصاً رياضـياً بطبعـه .. ربمـا أصاب المصعد عطل مفاجئ .. هكذا قال لنفسه .. فى الطابق الأول لمح طفلـين من أطفال الجيران يلهوان داخل المصعد و قـد تركـا بابـه مفتوحـاً .. أغتـاظ بشدة .. لم يجد عذراً تلك المرة كى يبرر فعلتهما .. هم أن يتوجـه إليهمـا و يعنفهما بشدة .. أنكمش الطفلان خوفـاً عنـدما لمحـوه متجهـاً نحوهمـا .. يعرفانه جيداً .. تقدم منهما ببطء و هو يلهث ، سيطر علـى أعـصابه بـشدة حتى لا تنفجر .. نظر إلى كل منهما ببرود .. تمالـك نفـسه وغـادر بـسرعة بينما تطلع الاطفال كل منهما للآخر بعدم تصديق

توجه مسرعاً نحو سيارته الصغيرة .. كم يعشق تلك الـسيارة المتهالكـة رغم أعطالها المتكررة فى الفترة الأخيرة .. يعتنى بها كثيراً منذ ورثها عـن أبيه ، يعشقها ويخاف عليها .. بل و يكلمها أحياناً و كأنها تفهمه .. عبر الشارع .. لم يدرك أن هنـاك مفاجـأة أخـرى فـى أنتظـاره .. لمـح أثنـان مـن المراهقين يجلسان على مقدمة السيارة التى لا تتحمل ثقل وزنيهما خاصـة و أن أحدهما بديناً .. تحركت بوادر الحرب داخل نفسه .. تسمر فـى مكانـه لدقيقة يحاول أن يسيطر على أنفعالاتـه الثـائرة بـصعوبة .. أطـرق لـلأرض يتنفس بعمق ، و لأنه قرر أن لا يثير مشاكل من أى نوع ، لم ينقض عليهما كالصاعقة و يلقنهما درساً كمـا كـان معتـاداً أن يفعـل فـى مواقـف كتلـك ..

أقترب من السيارة و طلب منهما بأدب أن ينزلا عن مقدمتها .. تطلع إليه أحدهما بأستهتار .. نهضا و أنصرفا بكسل .. تمنى لو يلحق بهما بسيارته و يدهسهما .. لم يحاول أحدهما حتى أن يعتذر .. نظر إلى سيارته العزيزة في شفقة .. تحسسها برفق .. لاحظ أن السيارة ما زال يعلوها التراب .. تذكر أنه أعطى البواب نقوداً بالأمس لكى يغسل السيارة .. البواب الكسول المخادع تجاهله .. هكذا قال لنفسه .. هم أن يتوجه إليه و يفرغ شحنة الغضب التى تتملكه الآن فيه .. في منتصف الطريق تذكر أن البواب كان يسعل بشدة عندما رآه بالأمس .. ربما لم يغسل سيارته لأنه كان مريضاً و ليس كسلاً منه كما ظن .. تريث لبرهة .. عليه أن يكون أيجابى و يلتمس الأعذار للناس .. تسمر فى مكانه ، هز رأسه فى حيرة .. أنسحب عائداً لسيارته .. سيطمئن عليه عندما يعود .. و السيارة لن يضرها بأى حال أن تبقى يوماً آخر بلا تنظيف .. نظر إلى زجاج السيارة .. أحد الظرفاء أستغل تراكم التراب عليه و قام برسم بعض الأشكال و الكلمات عليها .. مسحها بكل هدوء

ركب السيارة و أنتظر قليلاً حتى " يسخن " محركها .. قبل أن يغادر قطعت عليه فجأة سيارة كبيرة الطريق .. شاحنة نقل توقفت أمام سيارته تماماً لأفراغ بعض البضائع .. لم يستطع أن يتحرك .. قطب حاجبيه فى غضب يدرك بوادره .. من المؤكد أن السائق أعمى أو لا يدرك أصول القيادة

كى يصف سيارته أمامه بذلك الشكل الفج .. هكذا قال لنفسه .. تذكر موقف مماثل حدث من عدة أيام .. لم يترك السائق إلا بعد أن" مسح بكرامته الأرض" .. لا يريد أن يكرر نفس السلوك العنيف مجدداً .. لن يضره بعض الأنتظار بأى حال .. تمهل فى سيارته طويلاً حتى أفرغت سيارة الشحن حمولتها .. أنطلق بعدها إلى عمله حانقاً

فى العمل أنهمك بكل حواسه فى دراسة بعض الملفات و أنهاء بعض الأوراق الهامة .. أثناء أنشغاله جاءه الفراش بكوب الشاى الذى طلبه .. هم بوضع الكوب أمامه حين ناداه أحد زملائه .. ألتفت إليه بقوة فأصطدم بالفراش الذى يقف بجانبه تماماً .. أنساب السائل الساخن فوق الملفات ، بينما أنسكب جزء منه على ساقه .. أنتفض من الألم .. نظر بحسرة إلى الأوراق التى غرقت فى السائل الداكن .. أحمرت عيناه من الغضب بينما وقف الفراش يتطلع إليه فى رعب حقيقى و يتوقع رد فعله العنيف فهو يعرف طباعه جيداً .. للحظات تخيل أنه على وشك أن ينقض على الفراش المسكين و يمزقه بأسنانه .. سحب نفساً عميقاً و زفره ببطء .. ظل يتنفس فى قوة حتى يهدأ .. تمالك نفسه بصعوبة .. بدأ فى تنظيف المكتب بينما هم الفراش بمساعدته مواصلاً الأعتذار إليه بخوف و جسمه ينتفض .. أشاح له بالأنصراف ، فلو بقى أمامه طويلاً لتغير رد فعله بالتأكيد .. أنصرف الفراش و هو لا يصدق أنه نجا .. بينما نظر إليه زملائه فى العمل بدهشة

.. لم يعتادوا منه أن يفوت مثل تلك الفرص لتنفيث غضبه الكامن .. قام ينظف ثيابه و عاد للعمل بعد عدة دقائق و وجهه محتقن بشدة

كان الجو حاراً .. و رغم المروحة التى تعمل بكل قوتها إلا أن الجو داخل المكتب ظل خانقاً .. توجه لتصوير بعض الأوراق الهامة .. أنقطعت الكهرباء فجأة .. رجع ساخطاً .. بدأت قطرات من العرق تنساب منه بينما آلمته عيناه و هو يراجع اللفات بعد أن أصبحت نافذة صغيرة يأتى منها ضوء الشمس هى المصدر الوحيد للأضاءة داخل الغرفة المغلقة .. أستدعاه مديره .. أعطاه مزيد من الأوراق و طلب منه بسرعة مراجعتها لأن أحد زملائه تغيب عن العمل .. هم برمى الأوراق فى وجهه مهما كانت عواقب ذلك الفعل .. أراد أن ينفجر فيه فكيف يقوم بكل هذا العمل فى مثل ذلك الجو الخانق .. و لكنه بدلاً من ذلك تناول الأوراق مغتاظاً بلا كلام و خرج ..

مرت ساعات من المعاناة فى العمل .. قرر الأستئذان مبكراً .. عليه أن ينهى بعض الأوراق الخاصة بنقل أبنه من مدرسته القديمة إلى مدرسة أخرى جديدة بجوار منزله .. الطريق كان مزدحماً بشدة .. أثناء مروره بأحد الشوارع لمح سيدة و معها أطفالها الثلاث يحاولن بيأس عبور الطريق .. توقف بسيارته ليسمح لها بالعبور .. فاجأه كم هائل من أبواق السيارات الغاضبه وراءه لتعطيله المرور .. بينما قام بعض السائقين بتوجيه سيل من الشتائم له .. غلت الدماء فى عروقه .. قرر أن يترجل من سيارته و يرد لهم

الصاع صاعين .. ثم تذكر أنه يرغب أن يمر اليوم بسلام .. كبت ثورته التي توشك على الأنفجار و أنطلق بالسيارة مرة أخرى وسط سباب الكثيرين الذى يصل واضحاً لمسامعه .. عندما وصل إلى المدرسة الجديدة .. سأل عن الموظف المسؤول لتسلميه ملف أبنه .. أخبروه أنه غائب .. تلك ثالث مرة يترك عمله و يأتى ليتفاجئ به غير موجود .. سأل أقرب موظف له بنفاذ صبر لما لا يحل موظف أخر مكان زميلهم الغائب و يتولى عمله ، خاصة و أنه يرى العديد منهم بالفعل داخل المكتب بلا عمل .. نظر إليه الموظف ببرود قبل أن يرد عليه بأن جميع زملائه مشغولون بأعمالهم ! .. أراد أن ينفجر فيهم جميعاً .. تذكر أبنه .. سحب الملف و هو يرمقهم بنظرات نارية و خرج خائباً ، خالى الوفاض مجدداً

فى طريقه للمنزل أتصلت به أخته .. أخبرته أن أمه مريضة .. أنطلق إلى بيتها على الفور .. عندما وصل أسرع ليطمئن عليها .. سألها عن صحتها بخوف ، و مدى ألتزامها بتعليمات الطبيب .. تأكد أنها تتناول الدواء الذى وصفه لها الطبيب بأنتظام ، ما سبب تراجع صحتها إذن .. لاحظ ظهوربضع بقع حمراء على جلدها.. لا بد أنه من آثار الدواء الجديد .. لعن الطبيب فى سره .. أخبره من قبل أن والدته تعانى من الحساسية من مكونات بعض الأدوية .. رافق والدته للطبيب مرة أخرى .. فى العيادة تأخر الطبيب كالعادة بينما أصطف المرضى لأنتظاره طويلاً .. جلس على

مقعد متهالك و بجواره والدته المسنة .. نظر بأشمئزاز إلى العيادة غير النظيفة و إلى الأثاث البالى .. تعجب لما لا يهتم الطبيب بعيادته قليلاً رغم أنه يجنى الكثير من المال .. زاد حنقه على الطبيب و لكنه تمالك نفسه حرصاً على والدته .. وصل الطبيب أخيراً .. أنتظر طويلاً و أضطر أن يدس فى يد المرضة مبلغاً من المال خلسة لتسمح له بتجاوز طابور المرضى الطويل .. كشف الطبيب على والدته و وصف لها دواءاً جديداً .. ضايقه بشدة أن الطبيب لم يحاول حتى أن يعتذر عن وصفه لدواء خاطئ من قبل و كأنه أمر طبيعى أعتاد القيام به .. تمنى فى تلك اللحظة أن يحطم رأس الطبيب و معها عيادته المتواضعة .. بداخله حاول ألتماس الأعذار للطبيب نتيجة لمشاغله الكثيرة .. و لكنه لم ينجح و رفض عقله بلا وعى كل الأعذار التى حاول أختلاقها .. غادر العيادة و هو أكثر حنقاً محاولاً منع نفسه من القيام بأى رد فعل متهور كما أعتاد .. أتصلت به زوجته .. و طلبت منه شراء بعض الطلبات الأخرى .. قام بمرافقة أمه للمنزل .. أطمئن عليها و أنطلق لشراء الطلبات ..

فى الطريق توقف أمام أشارة ضوئية مزدحمة .. أمامه سيارة فارهة يركبها شاب لا يتعدى عمره العشرين و بجواره فتاة فى مثل سنه بينما صوت الموسيقى العالى ينساب من السيارة ليصم الآذان .. يتبادلان الضحك بمجون ، و يميل عليها كثيراً و كأنهما وحدهما و ليس فى طريق عام ..

تطلع نحوهما بعض سائقى السيارات المنتظرة فى فضول نهـم .. و بعـضهم فى حنق واضح على تصرفاتهما .. أنتظر فى الأشارة طـويلاً .. عنـدما أضـاء الضوء الأخضر أخيراً أستعد للأنطلاق .. و لكن الشاب فى الـسيارة الفارهـة أمامه لم يتحرك .. ما زال يميل على الفتاة و يضحكان .. أطلق نفير السيارة عدة مرات و لكن الشاب لم ينتبه .. أنطلقت أبواق السيارات خلفه فى غضب لتصم آذانه .. عندما أنتبه الشاب أخيراً نظـر وراءه للـسيارات المنتظـرة بـلا مبالاة .. أنطلق ببطء بينما يتحـول لـون الأشـارة مـن البرتقـالى إلى الأحمـر ..أضطر للتوقف بينما عبر الشاب .. ضرب المقود فى غضب .. فكر فى كـسر الأشارة الحمراء و الذهاب وراء الشاب ليحطم رأسه و سيارته اللعينة معاً .. منع نفسه بصعوبة من أرسال كم هائل من الشتائم كما فعل العديد من سائقى السيارات خلفه .. عليه الأنتظار مرة أخرى حتى تفتح الأشارة مجـدداً فـى صبر

تذكر أنه لم يدفع فاتورة الماء و الكهرباء .. أنتظم فى طابور طويل حتـى سدد فاتورته .. عندما أنتهى عاد إلى سـيارته .. أكتـشف أن الأطـار الأيمـن للسيارة فارغ .. ربما بسبب مسمار أو زجاج مكسور، أو أحد تلك المخلفـات غير المعروفة و التى تتناثر بكثرة على طول الطريق .. كتم أنفاسه فى ضـيق .. لم يكن معه أطار أحتياطى .. ركـن الـسيارة و أسـتقل تاكـسى بعـد فـترة أنتظار طويلة تحت لهيب الشمس .. فى الطريق .. أصر السائق على تشغيل

أحد الأغانى الشعبية الهابطة بصوت عال بينما يواصل تدخين سيجارته فى شراهه .. نظر للسائق بنفاذ صبر .. تضايقه رائحة السجائر .. بينما تؤلمه أذنه من صوت الأغنية الرديئة .. تذكر آخر مرة حدث له موقف مماثل .. تلقى السائق درساً قاسياً و أنتهى الأمر بهما إلى الشرطة فى النهاية ، و عاد إلى بيته فى المساء بعين متورمة و لكن بعد أن لقن السائق درساً لا ينساه .. لا يريد أن يتكرر الأمر مرة أخرى .. ما زال يتمالك أعصابه بنجاح .. يسرح بأفكاره .. اليوم لم ينتصف بعد و قد أحس أن أصراره علـى أن يكون مثالياً أمراً صعب للغاية ، أصعب بكثير مما كان يتوقع .. و لكنه ما زال متماسكاً .. نزل فى مقدمة الشارع الذى يسكنه .. عليه شراء بعض الطلبات ، لا يدرى لما تطلب منه زوجته كل تلك الأغراض اليوم .. يحس بصداع رهيب .. ربما بسبب الحر .. أو بسبب أكواب القهوة الكثيرة التى تناولها فى العمل دون تناول أفطاره .. فى الطريق .. تفاجئ بمقابلة صديق قديم لم يره منذ فترة طويلة .. رحب به بحرارة .. أصر الصديق على الجلوس معه قليلاً لمعرفة أحواله .. أصطحبه لمقهى مجاور .. جلسا على الناصية بينما أنهمر الصديق فى سرد ذكريات حياته دون أن يدع له أى فرصة للكلام .. الصداع يزداد .. على الناحية المقابلة للشارع الذى يقوم عليه المقهى رجل يقوم بأشعال النار فى صندوق القمامة الممتلئ .. يتصاعد دخان أسود كثيف من الصندوق بينما يحمل الهواء الدخان الكثيف إلى حيث يجلس .. يسعل

بشدة ويحس بالأختناق .. هم بالذهاب وراء الرجل و الأعتداء عليه .. كيف يفعل ذلك وسط منطقة سكنية .. و لكنه فكر قليلاً .. فهو نفسه أحياناً يقلده كحل أخير بعد أن تتراكم أكوام القمامة أمام العمارة و تتأخر البلدية فى جمعها .. يتلاشى غضبه و لكن الدخان الخانق يعمى بصره .. لا يستطيع التنفس .. ينتهز الفرصة و يستأذن صديقه فى الأنصراف .. يتنفس الصعداء لأنه تخلص من حديثه الممل .. يسرع لشراء الطلبات .. تفاجئ بأرتفاع أسعار معظم السلع .. جن جنونه .. ليس من المنطقى أن تزيد الأسعار بين يوم و ليلة بهذا الشكل .. يقولون أن سعر وقود السيارات زاد و كنتيجة له زادت الأسعار .. لا يصدق تلك الحجج الحمقاء .. لو أستمر الحال هكذا فلن يكفيه راتبه قريباً .. خرج حانقاً ..

الصداع يزداد ضراوة .. توجه إلى منزله و قد بدأ الظلام يعم المكان .. الأكياس ثقيلة بينما نال الأعياء منه تماماً .. يراه أحد جيرانه .. يسرع للسلام عليه و تبادل قليل من الحديث معه حول مشكلة ما خاصة بالصيانة داخل البناية .. يلعن جاره فى سره .. ألا يمتلك عينان ليرى بوضوح كم الأكياس الثقيلة التى يحملها .. أضطر للتوقف معه قليلاً من باب الأدب و هو يهز رأسه موافقاً على كل كلمة يقولها ليسرع بانهاء الحديث .. أنصرف بعدها الجار دون أن يعرض عليه حتى مساعدته فى حمل الأكياس .. تمنى لو رجع إلى طبيعته المتهورة مع جاره لدقائق ليلقنه درساً لا ينساه .. أنطلق

ببطء إلى المنزل .. البواب يسقى الزرع قريباً من مدخل العمارة .. لا يبدو عليه المرض .. يسأل نفسه لما لم يغسل السيارة إذن في الصباح طالما صحته تبدو جيدة .. ربما هناك عذر آخر .. لم يهتم .. حاول تجاهل الأمر وتقدم ببطء نحو باب المصعد و هو يلهث .. أنتظر طويلاً .. لم ينتبه إلى وجود ورقة معلقة تفيد بأن المصعد معطل .. عندما قرأها ، أندفع الدم فى عروقه بقوة من الغضب ..لا شك أنه نتيجة لعبث الأطفال صباحاً .. لو كان نهرهما فى الصباح لما حدث ذلك .. أضطر إلى صعود السلالم .. وصل إلى الطابق الخامس حيث منزله لاهث الأنفاس بينما يتصبب العرق الغزير منه .. يحس بصداع رهيب .. وصل أمام بيته خائر القوى تماماً .. و لكنه كان سعيداً .. لأول مرة منذ فترة طويلة يعود لبيته بدون مشاكل .. يمر يومه بسلام .. لم يسمح لأى أحد ، أو لأى ظرف أن يستثير أعصابه و يخرجه عن شعوره اليوم .. لم يقم بأى رد فعل متهور أو أحمق .. نجح فى أن يدع يوماً واحداً من حياته يمر بسلام أخيراً

يتقدم نحو شقته بسعادة و أعياء .. يشم رائحة غريبة .. يلاحظ أن كيس القمامة الخاص بجاره ما زال فى مكانه وسط الردهة و قد عبثت به بعض الحيوانات فتمزق و أنبعثت منه رائحة كريهة تملئ المكان .. لم يهتم .. يحس بالصداع يزداد .. يخرج المفاتيح بصعوبة .. كل ما يحلم به فى تلك اللحظة حمام دافئ يزيح به تعب اليوم ، و ووجبة ساخنة من يد زوجته

الجميلة ، و قبلة على جبين أبنه الصغير .. يفتح باب الشقة بأعياء .. المكان غارق في الظلام .. يحاول أشعال الضوء و لكن بلا فائدة .. مشكلة ما في الكهرباء كما يبدو .. و لكن الأنوار مضاءة في الردهة الخارجية .. هناك عطل ما في الكهرباء داخل شقته فقط .. يغتاظ من العطل المفاجئ .. يبدوالمنزل خاوياً على غير المألوف .. أين ذهبت زوجته .. ربما خرجت لأمر ما .. ينادى البواب ليعرف سبب المشكلة ، يحمل الأكياس للداخل .. في تلك اللحظة يتمزق أحد الأكياس فجأة و تتناثر محتوياته في كل مكان .. كان أمراً عادياً يحدث كثيراً .. و لكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه و هو يرى بعض الفاكهة التى أرهق نفسه في أنتقائها تختلط بكيس القمامة المزق خارج الشقة .. في تلك اللحظة لم يستطع التفكير.. حاول و لكنه لم يستطع .. و أنفجر بركان الغضب بداخله .. و لم يستطع منعه .. لم يشعر بشئ سوى بالدماء تندفع إلى عينيه و تصبغ كل شئ باللون الأحمر .. و بدخان كثيف يتكون بداخله يجب أن يجد منفذاً .. ركل الباب بعنف بينما أندفع في السباب بقوة .. أنطلقت اللعنات كالرصاص .. بدأ بالبقال الذى أعطاه أكياس غير صالحة ثم بجاره .. أنطلق يطرق باب جاره بقوة دون رد .. يكيل له الشتائم بغيظ .. لكن يبدو أنه غير موجود .. زاد غضبه و هياجه .. أندفع يلعن كل شئ .. توجه للدرج يسب البواب الذى يصعد السلالم ببطء شديد .. في تلك اللحظة ، ينتبه فجأة على الأنوار و هى تضاء داخل منزله

.. يلتفت إلى زوجته التى تقف فى منتصف الشقة و حولها مجموعة من أقاربه و أصدقائه .. تمسك بيديها كيكة كبيرة مكتوب عليها أسمه بينما الزينة تملأ جنبات منزله .. تذكر أن اليوم عيد ميلاده .. نسى ذلك تماماً .. زوجته أرادت صنع مفاجأه خاصة له .. تعلم أنه يحب المفاجأت كثيراً .. لم يتوقعها حقاً .. تسمر الجميع فى أماكنهم و هم ينظرون إليه بدهشة بعد فاصل السباب الذى أندفع منه ، و أنطلق من فمه بلا حساب .. تجمد فى مكانه للحظات .. لم ينبس بكلمة .. تقدم أبنه الصغير منه .. حضن أبيه فى لهفة .. أحتضنه فى عطف و هو ينظر للآخرين بخجل .. رفع الولد رأسه لأبيه ، و سأله فى منتهى البراءة : " بابا .. يعنى أيه أولاد ال.. اللى قلتها من شوية "

البطل

قلبه يرتجف .. رعشة تسرى فى أطرافه و لكنه يتقدم بثبات .. يقترب من الهدف .. تراءى له القصر من بعد .. قصر أشبه بالحصن يقف شامخاً .. الحراس في كل مكان .. يمسكها جيداً .. يمني نفسه بأن لحظات و ينتهي الأمر.. على بعد دقائق من النصر الذى حلم به هو و شعبه .. مقر الحاكم يقع على بعد مائة متر .. الديكتاتور المستعمر الذى طالما أذل شعبه و ذاق الناس من ظلمه الكثير .. مستعمراً جاء ليستنزف خيرات وطنه .. يحيط نفسه بمجموعة كبيرة من الحراس ليلاً و نهاراً .. يحمونه من بطش الشعب .. قوته الغاشمه التى تساعده على فرض سيطرته و جبروته أكثر على الناس .. سنوات طويلة و الناس تحلم بالخلاص منه .. يده تلوثت عبر سنوات حكمه الظالم بدماء العديد من الأبرياء .. و سجونه ما زالت تزخر بالكثير من المعارضين .. شعب مسكين يتردى تحت الفقر و يأن تحت وطأة الحرمان .. بينما تزداد ثروته .. يقضى على أى شخص يمكن أن يهدده أو يقف فى طريقه بلا رحمة .. يزداد ظلمه مع السنوات .. وصل الناس إلى مرحلة اليأس تحت حكمه .. يتمنون هلاكه .. محاولات كثيرة قام بها شباب و رجال لأغتياله و لكنها أنتهت كلها إلى الفشل .. ككل مستبد هو .. يجيد حماية نفسه

تلك المرة تم تخطيط كل شئ مسبقاً بشكل جيد .. كان يعمل بستانياً فـى قصر الحاكم .. أستمر فترة طويلة في عمله حتى بدأ الحراس فى الوثوق بـه .. ثلاث سنوات كاملة ينتظر الفرصة المناسبة .. عندما جـاء إلى القصر كـان يمنى نفسه فقط أن تتاح له الفرصة لقتلـه و هـو يتجـول فـى الحديقـة .. أو يتسلل داخل القصر ليقتله .. و لكن لم تتاح له الفرصـة لـذلك أبـداً .. دائمـاً يفرغ حراسه الحديقة مـن العمـال عنـدما يعتـزم التجـول فيهـا .. و القصر ممنوع لأحد الأقتراب منه .. لم ييأس .. أستمر في عمله مظهراً أخلاصاً لا مثيل له .. لا يعلمون أنه ينتمى لأحد الجماعات السرية التى تقاوم الحـاكم .. شجاعته و قوته دفعتهم للوثوق به فى مهمة صعبة كتلك .. و رغـم فـشل مخططه لكنه أستمر بدراسـة تحركـات الحـاكم جيـداً .. لاحـظ أن الحـاكم يحب الزهور النادرة .. يحتفظ بمجموعة من الزهور الغريبة و النادرة حقاً في ركن خاص في الحديقة أسفل شرفته مباشرة .. يتولى رعايتها و يـشرف عليها بنفسه .. خصوصاً تلك النباتات المستوردة من بلـده .. يوليهـا أهتمام غير عادى .. و عند سفره أو أنشغاله يترك مهمة تنـسيقها للبـستانى الـذى سبقه .. الوحيد الذى يسمح له بالأقتراب من القصر .. واتته يومها فكرة .. بدأ بالقراءة عن تلك الأزهار .. تقرب مـن البـستانى الـسابق للأستفاده مـن خبرته .. و عندما مرض البستانى .. لم يجدوا أفضل منه لرعايتـها .. وثقوا به .. أصبح مسموحاً له بالأقتراب من القصر .. أعجـب بـه الحـاكم بعـد أن

أهداه يوماً أحد الزهور النادرة .. أشتراها بمبلغ كبير حقاً بعد أن قرأ عنها الكثير .. داوم كل فترة على أهداءه بعض من تلك الأزهار .. يضعها فى أناء و يحملها إلى القصر .. فى البداية كان الحراس يقومون بتفتيشه بشكل صارم .. أحياناً يكسرون أناء الورد للتأكد من عدم أحتواءه على شئ .. ثم بدأوا فى الوثوق به .. مع مرور الأيام داوم على عمله بكفاءة حتى لم يعد يثير الشبهات .. ينسق الزهور تحت أشراف أحد الحراس فى ركن خاص بها من الحديقة تقع فوقه شرفة واسعة تطل على حجرة الطعام الرئيسية .. يهوى الحاكم عادة تناول الأفطار فى الشرفة صباحاً مع أسرته ثم الخروج للحديقة للتمتع برائحة زهوره و تفقدها .. تعرض عليه بعض التقارير أحياناً و هو جالس فى شرفته .. شهور طويلة مرت .. أطمئن أن الحراس بدأوا فى الوثوق به .. كون علاقات صداقة مع بعضهم .. يتمتع بخفة ظل كبيرة ساعدته على الأمر .. قرر أن يشترى أناء ورد كبير .. وضع بداخله قنبلة .. غطاها بالطين و زرع داخل الأناء نوع جديد من الأزهار .. زهرة برية نادرة .. بينما أخفى جهاز التحكم عن بعد الخاص بالقنبلة تحت ملابسه .. ثم أنطلق يحملها إلى القصر ..

تقدم إلى الحراس بثبات .. قلبه يرتعش .. لو أشتبهوا فى أمره و فتشوه فهذا معناه ليس هلاكه فقط .. بل و هلاك أسرته كلها أيضاً .. أقترب بهدوء .. أوقفه أحد الحراس .. يسأله عن ما يحمله .. يبلع ريقه بصعوبة

.. يبتسم فى وجهه و يبدأ فى المزاح معه .. يخبره أنها قنبلة .. يضحك الحارس .. يتبادلا المزاح معه قليلاً ثم يسمح له بعبور البوابة .. يتقدم ببطء .. يده ترتجف و هو يمسك أناء الورد .. لا يلاحظ الحارس الذى يتقدمه أرتباكه .. يتماسك بصعوبة و يستعيد رباطة جأشه .. يتذكر دم الشهداء ممن ماتوا من أجل تلك اللحظة .. يسيطر على توتره .. يدلف إلى الحديقة ويقترب من الشرفة المنشودة .. سيستيقظ الحاكم بعد ساعة تقريباً .. يحفظ كل مواعيده .. يراقبه الحارس و هو يقوم برى بعض الأزهار و تقليم بعضها الآخر .. يضع أناء الورد الجديد فى مكان بارز .. بالتأكيد سيلفت نظر الحاكم الزهرة الجديدة .. أنتهى من عمله و هو يتصبب عرقاً .. وقف فى الحديقة على بعض أمتار من القصر يتظاهر بقص بعض الاعشاب الضارة .. ينقل بصره كل فترة بين الساعة لأستطلاع الوقت ، و بين شرفة الحاكم مترقباً بقلق ظهوره فيها

ظل يراقب القصر بحذر .. كل ثانية تمر عليه تزيد توتره .. مستقبله و مستقبل أمته قد يتعلق بتلك اللحظة .. الدقائق تمر عليه ثقيلة و يزداد خفقان قلبه معها .. يرى حركة فى القصر .. لا بد أن الديكتاتور أستيقظ .. يسرع كل من فى القصر لخدمته كالعادة .. يلمح بعض الخدم فى غرفة الطعام .. سيتناول الحاكم أفطاره الآن .. يتمنى أن تسير الأمور كما خطط لها .. لحظات و يدخل التاريخ كبطل رفع الظلم عن قومه .. أو على الأقل

كشهيد حاول ذلك .. يحلم بالمجد .. تاريخ أجداده ملئ بالشهداء ممن ماتوا و هم يدافعون عن راية الوطن المغتصب .. سيكمل مسيرتهم الأسطورية و سيخلد سيرته الناس .. هدأت الحركة .. الحاكم الآن يتناول أفطاره هو و أسرته في الشرفة .. القنبلة كافية لتدمير الشرفة بمن فيها .. و لكن ما ذنب أسرته ، و بعض خدمه .. سينتظر حتى يهبط للحديقة كعادته كل صباح .. لم يشعر أن وقوفه قد طال وتوقف عن العمل .. أرتاب به أحد الحراس .. أقترب منه .. بدأ الأرتباك يعاوده و لكنه يتمالك رباطة جأشه بسرعة .. يسأله الحارس بغلظة عما يقوم به .. أخبره أنه يقوم بأنتزاع بعض الأعشاب الضارة .. طلب منه الحارس بحدة أن يغادر المكان .. الحارس جديد لا يعرفه .. رأى أحلامه تنهار .. يجب أن يكون على مسافة قريبة من القنبلة كي يعمل الريموت الخاص بها .. تطلع للحارس مجدداً .. ملامح الجد تعلو وجهه .. الحاكم يبدو أنه أنهى طعامه .. سينزل للحديقة بعدها .. بفصله عن حلمه لحظات .. و هذا الحارس الأحمق قد يقضي على الحلم .. بنهي بطولته قبل أن تبدأ .. الحارس بدأ يرتاب فيه أكثر.. تظاهر بأنه أنصاع لأوامره .. نظر حوله بسرعة يستكشف المكان .. على البعد بضع حراس منهمكين في الحديث و قد أولوا ظهورهم للقصر .. بينما وقف حارس على الجانب الأخر يطعم أحد كلاب الحراسة .. تعمد أن يسير ببطء حتى دنا من شجرة كبيرة .. ألتف ورءها .. أنحنى على الأرض متصنعاً

جمع بعض الأعشاب الضارة .. يتبعه الحارس كظله .. يدنو منه وينهره بطرف بندقيته بقسوة و هو يأمره للمرة الأخيرة بالأبتعاد .. يتأكد أن لا أحد يراه .. ينهض فجأة و يباغت الحارس و يسحب سلاحه من بين يديه .. تسمر الحارس في مكانه مذهولاً .. ضربه بكعب البندقية على رأسه قبل أن يفيق من أثر المفاجأة .. أندفعت الدماء من رأس الحارس و لكنه لم ينهار .. قام بسرعة و أنقض عليه .. أشتبك معه .. الحارس قوى و لكنه يتمتع أيضاً ببنيان صلب .. سرعان ما تغلب على الحارس و أفقده الوعى .. يخفيه وراء الشجرة ويتسلقها بخفة .. يرى أحدهم يقترب من الحديقة .. يدعو أن يكون الحاكم .. تسلق الشجرة لأعلى أكثر .. وقع بصره عليه .. المستبد .. يمشي بتمهل .. يميل إلى بعض الأزهار ليشم عبيرها .. يسمع وقت أقدام تأتي من خلفه .. يخرج جهاز التحكم من تحت ملابسه .. يقبض بأصابعه عليه بقوة .. ينظر للحاكم الظالم بأحتقار .. يحيا الشعب و ليسقط عصر الظلم .. سيخلد التاريخ هذه اللحظة .. لحظة موت الطاغية أخيراً .. سيتكلمون عن بطولته لأعوام .. لا يهمه الآن أن كان قد رآه أحد .. لا يهمه سوى لحظة النصر حتى لو ضحى بحياته .. موت الظالم سيضعف جيشه و ستكون ضربة قاضية له .. يرفع الريموت عالياً بيده بتحفز.. يستعد للحظة الحاسمة .. الحاكم يلاحظ الزهرة الجديدة .. يتطلع إليها بأعجاب .. يقترب منها .. يدنو من نهايته .. تذكر شعبه .. الألاف الذين ماتوا على يد

هذا الظالم .. القهر لسنين طويلة .. دماء الأنهار التى سالت بسببه .. سيبنى الشعب تمثالاً له .. للبطل المنقذ .. يسمع ضوضاء بجانبه .. يتجاهلها .. يشتد الصوت .. يعلو أكثر .. ربما رآه بعض الحراس ..لا يهتم .. ينظر للحاكم فى عينيه .. يده على زر التفجير .. شخصاً من وراءه يناديه بأسمه .. لا يلتفت .. أحس بوخز فى كتفه .. هل أصابته رصاصة .. و لكن لن يمنعه أحد .. و لن يوقفه شئ .. يشتد الوخز .. يتحسس زر التفجير .. أحس بشئ فجأة يلمس يده .. أنتفض فزعاً .. فتح عينيه .. تطلع إلى وجه زوجته للحظات بلا وعى .. نظر حوله بلا فهم .. تنبه لحاله .. كان جالساً على الأريكة داخل منزله المكيف و قد مال رأسه على ظهرها .. يبدو أنه غفا قليلاً كعادته .. نظر للتلفاز أمامه و بقايا الطعام التى تناثرت من حوله .. بدأ يفيق بصعوبة من قيلولته القصيرة .. التلفاز أمامه يعرض أحد أفلام الحرب التاريخية التى تحكى بطولات أجداده و أمجاد قومه .. لا بد أنه غفا و هو يشاهد الفيلم .. " أنت نمت ؟ " سألته زوجته .. يفرك عينيه بشدة .. لم يجب .. عندما تأكدت من أستيقاظه .. طلبت منه أن يساعدها فى حمل طاولة الطعام الثقيلة من حجرة الطعام حيث تريد تنظيف المكان .. تركته .. ظل فى مكانه قليلاً بلا حركة .. تثائب بقوة .. ضغطت يده على شئ .. لم ينتبه أنه كان يمسك بريموت التلفاز فى يده و أصابعه تتشبث به بقوة .. أحس بالألم من قبضة يده القوية على الريموت لفترة طويلة فأفلته

من يده .. رماه على الأريكة .. ربت على بطنه .. أكتشف أن علـب الطعـام بجانبه فارغة .. نهض بتكاسل .. ذهب إلى المطبخ .. أعـد بعـض المـأكولات السريعة .. عاد للأريكة مرة أخرى .. وضع الطعام أمامه و بدأ يتابع التلفاز مرة أخرى بحماس .. نـسى كـل شئ و بـدأ يأكـل و يـضحك و هـو يـشاهد برنامج كوميدى هذه المرة .. نسى حلم البطولة تماماً فى ثوان .. بينما تـرك زوجته تقف حائرة وسط حجرة الطعام و هى تحاول جاهـدة بـشتى الطـرق جر مائدة الطعام الضخمة .. بمفردها

الكلب

وقف عبد الباسط على أهبة الأستعداد ينتظر بترقب وصول السيدة .. صاحبة المكان .. لم يكن قد رآها من قبل و لكنه سمع الكثير عنها .. يقولون أنها أرملة غنية .. توفى زوجها من سنوات تاركاً لها الكثير من المال و دون أن يترك لها أبناً واحداً .. تأتى كل فترة إلى الريف لتستمتع بقضاء بعض الوقت بعيداً عن زحام المدينة .. و لتشرف أيضاً على مزارعها هنا .. تمتلك فيللا كبيرة تطل على حديقة واسعة حيث تهوى زراعة الورود .. سمع أيضاً أنها تهوى تربية الكلاب و الأعتناء بها و هو ما كان يثير خوفه ، لا يخشى أكثر من الكلاب منذ عقره أحداها و هو صغير .. و رغم مرور السنوات ، إلا أنه ما زال يخشى الأقتراب من أى كلب يراه مهما بدا مسالماً

قطع حبل أفكاره صوت سيارة قادم .. توجه ببصره إلى بوابة الفيللا حيث أسرع بعض الخدم إلى هناك .. سرعان ما توقفت سيارة و شاهد سيدة أنيقة تهبط منها .. ناداه السائق فأسرع عبد الباسط إليه .. عوض السائق .. هو الذى جاء به إلى هنا .. أبن هذه القرية مثله .. عندما علم بحاجتهم إلى بستانى تولى مهمة البحث عنه و أختارعبد الباسط فى النهاية .. يعلم أنه يعمل أجيراً فى حقول الفلاحين .. يعمل أياماً .. و تمر عليه أياماً أخرى بلا

عمل .. ليس له خبرة فى الحياة سوى فلاحة الأرض .. لن يكون صعباً عليه بأى حال الاعتناء بحديقة البيت الواسعة ، كما أنه عمل دائم و بأجر لا يحلم به

طلب منه عوض أن يحمل الحقائب .. فتح شنطة السيارة الخلفية و بدأ بأنزال الحقائب .. كان عوض ما زال ممسكاً بباب السيارة مفتوحاً رغم نزول السيدة .. نادت السيدة بصوت دافئ على شخص ما بالداخل .. ظن عبد الباسط أن أحد صديقاتها جاءت معها .. و لكن سرعان ما رأى كائناً أسود يهبط من السيارة .. كلباً ضخماً تبدو عليه الشراسة .. يحيط بعنقه طوق ضخم ينتهى بسلسلة ذهبية فى يد السيدة .. أسرع عبد الباسط لحمل الحقائب بينما أتجهت للداخل يتبعها الكلب كظلها

عاد بعدها إلى عمله فى الحديقة .. عند أنتصاف النهار خرجت السيدة للتنزه مع كلبها .. وقفت تتطلع إلى الحديقة .. أنحنت و أخذت تداعب كلبها و تربت عليه فى حنان بينما أستسلم الكلب العملاق لمداعباتها .. و عندما حانت ساعة الغذاء .. أخرج الخادم صينية كبيرة رصت عليها أنواع كثيرة من الطعام .. ظن عبدالباسط أن الطعام للسيدة ، و لكنها سرعان ما نادت عليه .. كان يسقى أحد الأشجار قريباً منها فهرع إليها .. أمرته أن يعتنى بالكلب حتى يتناول طعامه و أتجهت بعدها إلى الداخل .. وقف الكلب يهز ذيله و هو يرى سيدته تبتعد .. بينما تسمر عبدالباسط لا يدرى

كيف يتصرف مع كلب بتلك الشراسة

و رغم أرتباكه ، لكن لم يكن الخوف من الكلب هو الذى يشغل باله فقط .. كانت الرائحة اللذيذة المنبعثة من الطعام و التى أهاجت معدته الخاوية هى التى بدأت تسيطر على حواسه بل و تطغى على خوفه من الكلب .. نظر الكلب لعبد الباسط بلا أهتمام و هو يتمدد على الحشائش بتكاسل ، بينما بدأ عبدالباسط يتطلع للطعام الشهى .. يلتهمه بعينه دون أن يمسه .. أبعد عينيه عن الطعام بصعوبة .. لم يعد يهتم بالكلب النائم على بعد خطوات منه .. نظر إليه .. كم هو محظوظ .. لا يشعر بالجوع لأن أحداً يرعاه و يهتم به .. وجد نفسه بعد فترة يتجه ببصره نحو الطعام مرة أخرى بلا وعى .. أغمض عينيه لبرهه ، بينما ترك الرائحة الذكية تغزو حواسه و تسيطر عليها بأستسلام لذيذ

فتح عينيه و أفاق سريعاً من أحلامه .. لا يعلم لما نظر حوله بوجل .. ربما خوفاً من أن يلمحه أحد و يقرأ أفكاره التى تفضحها نظراته الجائعة .. تماسك و أبتعد قليلاً عن الطعام .. عندما كان يعمل أجيراً فى الحقول كان يأكل أحياناً مما تنبته الأرض .. و يشرب من مياه الترعة .. أما الآن فى حديقة كتلك ، فلا يوجد شئ سوى الأزهار .. تمنى لو كانت طعاماً فيشبع جوعه الذى يستعر من الأمس حين بات بلا طعام .. أغمض عينيه يحلم باليوم الذى يقبض فيه أول راتب من عمله الجديد .. عوض أخبره أن راتبه

سيكون أكبر مقارنة بما كان يحصل عليه من قبل .. سيشترى أولاً طعاماً .. أنواع كثيرة غير التى أعتاد أكلها .. كتلك الموجودة على الصينية أمام الكلب و التى لا يعرف أسمائها و لكن أشكالها تغريه .. و سيلتهمها حتى يتخم معدته .. أفاق من تأملاته على الكلب و هو يتحرك قليلاً بعيداً عن الطعام .. ثم يجلس على الحشائش مرة أخرى بتكاسل .. نظر للكلب في حيرة .. يا لغباء هذا الكائن .. كيف يترك طعاماً بتلك الوفرة

نظر حوله في تردد .. لم يكن هناك أحد في الحديقة سواه .. و الأشجار المزروعة أمام الفيللا تمنع من يقف في نوافذ البيت من رؤية ما يدور في تلك البقعة من الحديقة .. و كأن الأشجار تتواطئ معه .. بدأت خواطر غريزية تتوارد على ذهنه تدريجياً .. ثم تحثه و تحركه .. بطيئاً و لكن بثبات يقترب من الطعام .. أغمض عينيه بتلذذ و هو يحلم بأن الطعام له .. ثم فتحهما بسرعة .. لماذا يحلم و هو في عالم الواقع الآن ، و حلمه على بعد خطوات منه ، بل و في متناول يده .. أقترب أكثر من الطعام بتردد .. سال لعابه .. وجد نفسه يمد يده إلى صحن الطعام بخوف .. ألتقط قطعة صغيرة من اللحم و رماها في فمه بسرعة و كأنه يتخلص منها .. بدأ يلوكها بسرعة شديدة و قد تركزت حواسه كلها في عيناه و هو يتابع كل حركة في الحديقة أمامه .. لم يشعر بطعم القطعة الأولى و أن أحس بها تستقر في معدته الخاوية .. مسح فمه بباطن يده ليخفى آثار الجريمة .. تطلع حوله

.. كان الكلب ما زال فى مكانه مسترخياً يطالع ما يحدث بلا حراك .. و الهدوء يفرض سيطرته المعتادة على المكان .. مرت لحظات و هو يقف ساكناً في مكانه لا يتحرك .. و عندما شعر ببعض الأطمئنان .. عاد للنظر مرة أخرى إلى وليمته .. و بسرعة و لكن تلك المرة بثبات أكثر ألتقط قطعة ثم أخرى .. أحس بالطعم اللذيذ يجتاح معدته .. بينما سرى خدر لذيذ في عروقه بعد أن بدأ يشبع بالطعام .. كان يتوقف كل برهة ليراقب المكان حوله .. ثم يلتهم تلك الأنواع أمامه التى يراها لأول مرة و إن أعجبه طعمها .. في دقائق معدودة كان قد أنهى الطعام و أسرع يغسل يداه و يمسح ملابسه بعد أن أنزلق بعض الطعام عليها .. مرت بعدها ساعة قبل أن يأتى أحد الخدم ليرفع صينية الطعام

دقائق ثقيلة مرت عليه .. بدأ يستعيد بعدها ببطء قدرته على التفكير .. شعر بالذنب .. و بمدى غبائه أيضاً .. من المؤكد أنهم أدركوا ما حدث الآن .. فليس من المعقول أن يلتهم الكلب كل هذا الكم من الطعام بمفرده .. كان ينبغى أن لا يندفع بهذا الشكل ، أن يترك على الأقل بعض الطعام بدلاً من ألتهامه كله .. و بدأ يلوم نفسه و يحاسبها بقسوة .. سيكتشفون أمره سريعاً لا محالة .. و من الأرجح أنهم سيطردونه .. و ربما دفعوه إلى السجن .. فمن أين له بثمن ما أكله .. مر الوقت بطيئاً و هو يقف حائراً يتساءل بقلق عن مصيره .. لمح بعدها السيدة تخرج للنزهة فى الحديقة .. و رآها تقترب

منه .. بدأ قلبه ينبض بعنف .. تهيأ تماماً للأسوأ ، و لكن الغريب حقاً أن السيدة شكرته لأنه أعتنى بالكلب فى غيابها .. كانت سعيدة بأن الكلب أنهى طعامه كله ، حتى أنها منحته بعض النقود و هى تستمر فى مداعبة كلبها برفق .. أنصرفت بعدها بينما يتبعها الكلب بنشاط

عندما عاد لبيته .. أسرع ليغسل وجهه .. وقع بصره دون وعى على صورته فى المرآة .. وجهه متورداً على غير العادة .. بينما عيناه تلمعان ببريق الصحة .. لأول مرة يرى نفسه بهذا الشكل .. و أحس بالقوة تسرى فى عروقه .. قوة لم يعهدها فى نفسه من قبل .. يكاد يشعر أنه أنسان جديد بعد أن أمتلأت معدته اليوم و لأول مرة بكل ذلك الكم من الطعام الدسم .. نام تلك الليلة بعمق لم يختبره من قبل .. و فى الصباح عاد للعمل بكل نشاط

مر عليه يومان على نفس المنوال .. كانت السيدة تأتى بكلبها كل يوم عند أنتصاف النهار تقريباً يتبعها الخادم بالطعام ، و تترك له مهمة الاعتناء بالكلب .. فى الواقع لم يكن الكلب يأكل إلا القليل من الطعام بينما يتولى عبد الباسط مهمة القضاء على باقى الطعام بمفرده بنجاح بعد أن اطمأن أن لا أحد يشك فيه .. و بدأ عبدالباسط يسمع من عوض حكايات غريبة عن حب السيدة الشديد للكلاب .. خاصة هذا الكلب الشرس الذى مكث معها لسنوات طويلة .. كانت تحب الكلاب لدرجة أنها لا تكاد تفارقهم عند

ذهابهـا للتنـزه .. و تحـرص علـى أصـطحابهم للطبيـب أسـبوعياً بأنتظـام للأطمئنان عليهم .. بل تهوى أن تطعم كلابهـا بنفـسها أحيانـاً .. و تـساءل عبد الباسط بأستغراب لما لم تقوم سيدته بأطعام كلبها الـشرس بنفـسها كمـا أعتادت

و بدأ عبد الباسط يصدق تلك الحكايات .. كان يراها تقضي وقتاً طـويلاً و هى تلاعب الكلب فى الحديقة .. و لشد مـا أذهلـه أن يراهـا و هـى تداعبـه بكل حنان .. بل أنه كان يلاحظ أن عيناها تمتلئان بالدموع و يكسو وجههـا حزن واضح عندما تغـادر الكلـب لـبعض لأعمالهـا .. و عنـدما تعـود تبـادر بالسؤال عنه بشغف .. و أنتابته دهشة من سلوكياتها ، و حسداً على الكلب .. يا له من محظوظ هذا الكائن ليحظى بكل هذا الحب .. و الأهم بكل ذلـك الطعام الذى يقدم له يومياً بلا حساب

مـرت ثلاثـة أيـام سـريعاً عليـه .. فـى اليـوم الرابـع لم تخـرج الـسيدة للحديقة طوال النهار على غير المألوف فتساءل عن السبب .. مر بـه عـوض فأنتهز الفرصة لتبادل الحديث معه كعادتـه .. سـأله عـن الـسيدة .. أسـند عوض ظهره على أحـد الأشـجار قبـل أن يجيـب بـبطء .. أخـبره عـوض أن السيدة حزينة لأن كلبها العزيز سيغادرها اليوم .. فى الواقع كان الكلب قد عقر أحد الأشخاص أمام بيتها فى المدينة من عدة أيام .. و أتضح من الكشف عليه أنه مصاب بعدوى خطيرة لا أمل فى علاجها .. و قد يشكل خطراً على

حياة الناس .. و لهذا السبب أبلغها الطبيب بـصرامة بـضرورة قتـل الكلـب قبل أن يتمكن المرض منـه .. و لأن الـسيدة تحـب كلبهـا .. بكـت كـثيراً و لكنها لم تجد مناصاً من تنفيذ أمره .. تملكتها حيرة كيف يتم الأمر دون أن يقاسى أى معاناة .. كانـت مـشفقة أن يـشعر كلبهـا بـأى ألم .. لـن تتحمـل رؤيته يعانى .. لهذا جاءت به إلى هنا .. و اليوم سـيتم الـتخلص منـه .. و لذلك فهى متوترة الأعـصاب و لا تـستطيع الخـروج للحديقـة لرؤيـة كلبهـا العزيز

فهم عبدالباسط الآن لماذا كانت عيناها تلمعان بالدموع كلما فارقت كلبها .. و بدأ عبد الباسط يشعر بالشفقة تجاه الكلب .. صحيح أنه لم يمكث معـه فترة طويلة ، و ما زال يخاف منه .. و لكنه كان كلباً مسالماً على أى حال ، كما أنه كان يترك له كل طعامه ليأكله .. و شعر بحزن أكـبر لأنـه سيحرم من الطعام الوفير الذى أعتاده طوال الفترة الأخيرة

دار سؤال فى رأسه ، سأل عوض عن كيفيـة الـتخلص مـن الكلـب .. رد عوض بلا أهتمام :

– لا تقلق .. كلها ساعات قليلة و يمـوت .. لـن يـشعر بـأى ألم .. فمـن حسن الحظ أن شهية الكلب كانـت مفتوحـة طـوال الثلاثـة أيـام الماضـية .. سأرتاح من هذا الكلب على أى حال فلم يكن يطيقنى

لم يسمع عبد الباسط الجملة الأخيرة .. توقف ذهنه عند الجملة التى سبقتها .. وجد نفسه يسأل عوض و كأنه يحادث نفسه بصوت عال : و ما علاقة شهية الكلب المفتوحة للطعام فى الفترة الأخيرة .. بموته ؟

قال عوض بلا مبالاة و هو يتناول تفاحة من داخل جيبه و يقضمها : السيدة لم تتحمل فكرة أن ترى كلبها يضرب بالرصاص .. أو يموت بأى وسيلة مؤلمة .. و لهذا أتفقت مع الطبيب على أن تضع له السم فى الطعام يومياً .. سيموت برفق تدريجياً دون أن يتألم ..

تنهد بأرتياح بعدها مضيفاً : من حسن الحظ أنه كان يلتهم الطعام ألتهاماً .. سيعجل هذا بحدوث الأمر.. يا له من كلب مزعج .. لا أصدق أننا أخيراً سنتخلص منه

الخبر

أستقبلته بالأحضان .. فقد مضت فترة طويلة حقاً منذ تقابلنا أخر مرة .. فى الواقع تفاجئت بزيارته لى فى مكان عملى .. فصديقى مراد لم يقم بهـذا من قبل .. رحبت به و أنا أحاول أخفـاء دهـشتى .. جلـسنا بعـدها نتبـادل الأحاديث و نتذكر ماضينا منذ كنا زملاء فى مدرسة واحدة .. عندما أنتهـى الكلام المعتاد بيننا .. سادت فترة صـمت قطعهـا و هـو يتنـاول خطـاب مـن حافظة أوراقه .. خطاب مرسل بالتأكيد من مصلحة الضرائب التى أعمل بها كما أستطعت أن أميز من شكل الأختام على غلافـه .. و علـى الفـور أدركـت سبب زيارته .. سلمنى أياه فتفحصته بلا تعليق .. تنهـد طـويلاً ثـم أنـدفع يشكو لى من أحد زملائى مأمورى الضرائب الذى بالغ و وضع عليه تقديرات جزافية – على حسب تعبيره – بناء علـى دخلـه .. طلـب منـى أن أراجـع زميلى سعياً لحل المشكلة بشكل ودى .. سألته لمـاذا لم يتقـدم بـشكوى طالمـا الحق بجانبه .. قال أن الشكاوى غالباً يكون مصيرها الأهمال و لهذا لجأ إلى .. تلفت حوله بحذر .. ثم دنا منى قائلاً بصوت هامس " أنا متعـشم فيـك .. وعلى أستعداد لأى شئ تطلبه "

تجاهلت تلميحه غير المباشر و لم أغضب منه .. كنت أعلم طبيعته جيداً

.. أعتاد مراد أن يقضى مصالحه بالرشاوى و الأكراميات .. ربما بسبب طبيعة عمله .. مراد صحفى ناجح فى أحد الصحف الكبرى .. أقرأ له من حين لآخر .. أعلم أنه يكسب كثيراً .. فبصرف النظر عن راتبه من الجريدة .. تصرف له مكافأت ضخمة إذا نجح فى عمل حوار صحفى حصرى أو خبطة صحفية .. أو تمكن من نشر تحقيق جرئ أو قصة غريبة .. يستخدم هذه الأساليب كثيراً ليحصل على أى خبر مثير أو فضيحة تثير الأهتمام .. كنت متأكد أنه حاول رشوة زميلى و لكنه فشل .. و لهذا لجأ إلى .. وعدته أن أبحث موضوعه .. و إن لم أعده بتخفيض الضرائب المستحقة عليه .. شكرنى بشدة .. سألته عن أحواله و أحوال أسرته .. ثم تطرق الأمر إلى السؤال عن عمله .. تنهد و سكت قليلاً .. ثم أندفع يشكو لى : " تصدق من أكتر من أسبوع مش لاقى حاجة أكتبها .. و كل يوم رئيس التحرير يتصل بى يستعجلنى .. و فى الآخر يفرضوا على ضرايب قد راتبى .. يرضيك كده"

ضحكت .. تذكرت شيئاً فجأة .. كنت أعلم أنه يبحث عن قصة جديدة .. قلت له بسرعة :" و الله أنت أبن حلال .. أنا عندى ليك قصة ممتازة " .. بدا بعض الأهتمام على وجهه .. أعتدل فى مقعده .. تابعت :" تصور أن رئيس المصلحة عندنا أتحجز على عربيته من يومين .. ماقدرش يدفع باقى أقساطها .. تخيل .. رئيس مصلحة ضرايب فى محافظة كبيرة طول عمره

بيقع تحت أيده أصحاب الملايين .. و فنانين مشهورين و كبار رجال الدولة .. هو اللى كان بيقدر الضرايب عليهم بنفسه أحياناً .. أشترى عربية جديدة بدل العربية القديمة اللى طلعت عينه و بقت خردة .. راح لمعرض السيارات و أختار عربية صغيرة على قده .. صاحب المعرض أستغرب لما عرف أنه عايز يشتريها بالتقسيط .. أصله كان عميل عنده .. مقدرش يدفع غير قسط واحد .. و بعدين بنته أتخطبت .. و مصاريف الجواز قطمت ضهره .. و كمان مراته المسكينة .. مريضة بالكلى و بتعمل غسيل كلى مرتين فى الأسبوع .. خمس شهور مش قادر يدفع أقساط العربية .. عمره ما كان يتخيل أن صاحب المعرض يجيب الشرطة و يسحب منه العربية و هو فى الشغل .. تصور الموقف .. كانت فضيحة ليه .. و قدام كل الموظفين "

كان زميلى ينصت و لم يبد كثير من الأهتمام على وجهه .. أردفت بحماس : " راجل زى ده المفروض يتعمله تمثال لشرفه و أمانته .. و الصحافة تكتب قصته .. و البركة فيك .. تعرف الناس أن الدنيا لسه بخير .. راجل أمين "

قال صديقى معقباً :" فعلاً .. عملة نادرة "

أكملت بحماس أكبر : غيره عمل الملايين .. و من مراكز و مناصب أقل من منصبه .. تعرف أن النائب بتاعه أتمسك أمبارح بس .. و هو بياخد رشوة .. تصدق .. طلب من تاجر كبير رشوة علشان يخفض الضرايب عليه

.. لكن التاجر بلغ عنه .. سجله بالصوت و هو بياخد الرشوة و قبضوا عليه .. و هيتعرض على النيابة النهاردة .. بيقولوا أن عنده أملاك كتيرة .. عمارة هنا و شالية فى الأسكندرية .. ولاده كانوا فى أغلى مدارس اللغات .. و عربيته تمنها قد راتبه فى عشر سنين .. لكن رئيس المصلحة بعد خمسة و عشرين سنة خدمة لحد النهاردة ساكن فى بيت بالإيجار هو و أولاده .. مقدرش حتى يشترى شقة بأسمه .. و عمره ما سافر مصيف .. و أولاده أتعلموا فى مدارس حكومية .. و فوق ده كله راجل زى السكر و عنده أخلاص فى العمل .. أحياناً بيفضل شغال فى المصلحة لحد المغرب .. يراجع كل كبيرة و صغيرة بنفسه علشان يتأكد أن ما فيش عميل أتظلم .. و علشان كدة مصلحتنا من أفضل مصالح الضرايب على مستوى الدولة .. و عمره ما طلب زيادة راتب .. أيه رأيك تعمل مقابلة معاه .. و لا تحب تعرف تفاصيل أكتر عنه"

أعتدل زميلى فى جلسته و قد بان عليه التركيز فيما قلته .. شكرنى ثم نهض من مكانه .. قال أنه سيعرف التفاصيل بطريقته .. أستأذن بعدها فجأة فى الأنصراف .. و غادر المكتب بسرعة

أنشغلت بعدها فى عملى و رجعت للبيت مرهقاً .. نسيت الموضوع تماماً وسط زحمة الأحداث اليومية .. فى الصباح توجهت للعمل مبكراً و أشتريت الجرائد كعادتى و أنا فى طريقى إلى هناك .. فتحت الصفحة الأولى

و تصفحت العناوين الرئيسية بسرعة .. كان هناك تقديم عن تحقيق صحفى هام فى الصفحة الثانية .. قرأت باقى العناوين الرئيسة ثم فتحت الصفحة الثانية .. أتسعت عيناى من الدهشة و أنا أقرأ الخبر الذى توسط عنوانه الصفحة

حاميها .. حراميها

ضبط نائب رئيس مصلحة ضرائب متلبساً و هو يقبض رشوة

و تحت الخبرعدة عناوين فرعية قرأت منها

النائب أستغل منصبه .. و ثروته تقدر بالملايين

من يوقف مسلسل الفساد الذى أنتشر فى تلك المؤسسة و طال كبيرها و صغيرها

تسمرت فى مكانى و واصلت القراءة .. كان التحقيق يتحدث بأسهاب عن النائب المقبوض عليه و يعرض بعض فضائحه بالأضافه إلى نشر صوره له و هو خارج من تحقيق النيابة .. و يتحدث بشكل غير مباشرعن فساد منظم لكل الموظفين فى المصلحة .. و تلميحات على فساد رئيس المصلحة أو على الأقل تواطئه مع ذلك الفساد و أستغلاله لمنصبه .. و مطالبات للمسئولين بسرعة التحرك و فتح تحقيق عاجل بعد انتشار التجاوزات فى المصلحة بشكل كبير مع الحرص على سرعة نشر نتائج التحقيق للجمهور .. كان

التحقيق على صفحة كاملة .. و رغم صدمتى مما قرأته ، و لكن ما لفت نظرى حقاً فى المقال هو أمضاء كاتبه فى نهايته .. كان موقعاً بأسم ليس بالغريب عنى .. أسم يبدو مألوفاً بالتأكيد لدى .. كان ممهوراً بتوقيع صديقى مراد

الشبح

كنت أتردد كثيراً على مكتبة قديمة ضخمة فى وسط البلد لشراء أحتياجاتى من الكتب .. جذبنى إليها عدة عوامل .. أولها هو منظر تلك الرفوف الكبيرة المتلئة بالكتب و الذى لم أجد له مثيلاً فى غيرها من المكتبات الصغيرة الحديثة .. كان المجال هنا أوسع لأختيار ما أريده .. و لم يكن صاحب المكتبة يمانع أن أتنقل بين جوانبها .. أقلب بين الكتب و أطالع محتوياتها حتى أعثر على ضالتى .. كما أنه يساعدنى إذا سألته .. يأتى لى بأى كتاب أطلبه مهما كان نادراً .. لفت أنتباهى أيضاً أنه يحتفظ بموسوعة كبيرة من الكتب النادرة حقاً لا أعلم كيف جمعها و لا تتوافر إلا لديه .. أما الدافع الرئيسى لتفضيلى المكان عن غيره .. هو أن أسعار الكتب كانت مناسبة لى نظراً لأن معظمها قديم و مستعمل

توطدت العلاقة بينى و بين صاحب المكتبة نتيجة لكثرة ترددى عليها .. عجوز نحيل أشيب الشعر يرتدى نظارة ضخمة لا تخفى نظراته الحاده .. قليل الكلام نادر الأبتسام و لكنه يحافظ على صلة قوية بينه و بين زبائنه .. يحفظ كل شئ عن زبونه كما يحفظ مكتبته .. أغيب أحياناً لأشهر ثم أعود إليه فأجده ما زال متذكراً لأسم آخر كتاب أشتريته وأتفاجئ به

يسألنى عن رأيي فيه .. يدهشنى هذا الكهل دوماً بذاكرته القوية

عندما علم بشغفى بكتب المغامرات و الرعب أهدانى هذا الكتاب .. و على شفتيه أبتسامة مبهمه .. تناولت الكتاب بشوق .. أحب قراءة كل القصص بصفة عامة .. و لكنى أهوى تلك التى تدور حول عالم السحر و الأساطير بشكل خاص .. أو عالم الرعب الغامض .. أتابع تلك النوعية من القصص بشغف ، وأحتفظ بمكتبة صغيرة منها داخل بيتى .. لا أعلم سر تعلقى الدائم بها.. ربما بدأ الأمر معى منذ كنت صغيراً أهوى مطالعة صفحات الحوادث المنتشرة فى الجرائد اليومية التى يحضرها أبى و أترقبها بلهفة .. ثم أنتقل غرامى إلى كتب الجيب الرخيصة بأحداثها المليئة بالأثارة المفرطة التى تناسب خيال المراهقين .. و تدرجت على قراءتها حتى أصبحت أحتفظ بمجموعات كبيرة منها و بدأت أتعرف بعدها على أشهر أعمال كتاب الرعب و أسعى بأنتظام لشراءها .. كنت فى الفترة الأخيرة أتردد على المكتبة بأنتظام .. لاحظ صاحب المكتبة شغفى بتلك النوعية من الكتب و عندما سألنى لم أنكر عشقى لها .. عبرت عن أستيائى من عدم العثور على أى كتاب جيد حقاً فى الفترة الأخيرة .. الكتب الجديدة تخلو من المتعة التى أبحث عنها .. قصص الرعب العادية لم تعد أحداثها تثيرنى .. أو أستمتع بقراءتها كالسابق .. عبرت عن خيبة أملى من الأصدارت الحديثة التى لا تتميز أحداثها بالأثارة الكافية التى أترقبها ..

لمحت فى عينيه بريق خاص و هو يسمعنى .. طلب منى الأنتظار ثـم غـاب فى الداخل للحظات .. رجع بعدها و نـاولنى كتـاب متوسـط الحجـم يعلـوه التراب

تناولت الكتاب بين يدى بلهفة .. أزحت الغبار المتراكم علـى غلافـه .. جذبنى شكل الغلاف من الوهلة الأولى .. قلبت فى صفحاته .. تأملت الخـط المكتوب به .. يبدو كتاباً قديماً بالتأكيد من صفحاته الصفراء و نـوع الخـط و أسلوب طباعته الذى لم يعد مستخدماً فى الكتب الحديثة .. رأيت أبتسامته المبهمة و هو يخبرنـى بثقـة أن الكتـاب سـيعجبنى .. كانـت أول مـرة أراه مبتسماً .. سألته عن ثمنـه .. لم يـرد .. طلـب منـى أن أقـرأه أولاً فـإذا نـال أعجابى جئت و دفعت ثمنه .. لم يعتاد فعل هذا من قبـل .. هـل كـان كـرم منه لأنى زبونه القديم .. شكرته على أى حال .. تناولت الكتـاب و مـضيت إلى بيتى مدفوعاً بالشوق لقراءته .. بينما وقف يرمقنى بصمت أمام مكتبته و أنا أغادر

عدت للبيت متأخراً بعد سهرة مع بعض أصدقائى .. غـيرت ملابـسى .. شعرت ببرودة الجو .. أرتديت بيجامتى الصوف و فوقها معطف منـزلى داكن اللون فسرى إلى جسدى بعض الـدفء .. هيئـت نفـسى تمامـاً لمغـامرة قصصية جديدة .. أطفأت النور .. غرقـت الغرفـة فـى الظـلام إلا مـن أضـاءة خفيفة تأتى من لمبة أنارة صغيرة فى الـسقف .. تأكـدت مـن أغـلاق النوافـذ

جيداً .. أرتحت للصمت التام من حولى .. أغلقت هاتفى حتى لا يزعجنى أحد .. تمددت على الكرسى الأسود الضخم .. نظرت للساعة .. كان الوقت متأخراً .. قبل منتصف الليل بقليل .. الوقت المثالى لقراءة القصة فى جو من السكون و الهدوء التام .. أعشق تهيئة جو خاص من الصمت و السكون قبل قراءة أى قصة رعب جديدة .. جو يتناسب معها حتى أستطيع الأندماج و الأستمتاع بها أكثر .. تفقد قصص الرعب لذتها و أثارتها إذا كان هناك ضوضاء حولك .. أو سمحت لأحد بمشاركتك المكان

أمسكت الكتاب و قلبت فيه .. كتاب متوسط الحجم تزيد صفحاته عن المائة .. لاحظت أن بضع صفحات قليلة فى نهاية الكتاب تركت فارغة .. بلا سطر واحد .. لم أهتم .. ربما خطأ مطبعى

بدأت القراءة .. تبدأ القصة بمقدمة شيقة .. الأحداث تتوالى ببطء لكنها مشوقة .. جذبتنى الرواية تماماً من البداية .. شخصيات مرسومة بعناية .. و تسلسل أحداث مثير .. نسيت كل ما حولى تماماً .. لم يخيب صاحب المكتبة ظنى و أهدانى قصة ممتعة حقاً .. لم أشعر بالوقت .. مرت ساعة تقريباً و أنا أقرأ بنهم .. ألتهم الصفحات ببطء و تلذذ .. أنتهيت من الفصول الأربعة الأولى .. أحسست بأرهاق بسيط فى عينى .. و تصلب فى جسدى .. قمت لأعداد كوب من الشاى الساخن .. خاصة و أن البرد بدأ يتسلل إلى أطرافى .. غبت لدقائق .. أحسست بعدها بنشاط غير عادى .. و رجعت

لمتابعة القراءة مرة أخرى بحماس أكبر

سرعان ما أندمجت مرة أخرى .. خط الأحداث يزداد غموضاً و أثـارة .. حواسى كلها تعيش أحداث الروايـة .. يجـذبنى تعـاطف خـاص مـع بطـل الرواية لا أعلم سبباً له .. عادة لا أتعاطف مع شخـصيات قـصص الرعـب .. بل تتملكنى أحياناً رغبة سادية فى رؤية معاناتهم و الأستمتاع بالنهايـات المؤلمة لهم .. قصص الرعب لا تناسبها سوى النهايات المأساوية بـل و تزيـد مصداقيتها و متعتها .. تشدنى أحداث الرواية إلى عالم آخـر .. أتـابع بقلـق السقوط المتتالى لأبطال الرواية واحداً تلو الآخر أمام شبح غامض يقـضى علـى كل من يقف فى طريقه بـلا رحمـة .. أركـز مـع محـاولات البطـل الفاشـلة للتخلص منه أو حتى الهرب بلا فائدة .. وصلت إلى الفصل الأخير سريعاً .. أكبر فصول الكتاب

أرحت عينى قليلاً .. نظرت للساعة .. كانت تخطت الثانيـة صـباحاً .. تأخر الوقت و لكن لن يطاوعنى النوم قبل أنهاء القصة .. بـدأت فـى الفـصل الأخير .. أنـدمجت فـى أحداثـه بـشكل أكـبر مـن بـاقى الفـصول .. تـزداد الأحداث أثارة .. تركزت حواسى تماماً على سطور الرواية .. لم أعـد أنتبـه لأى شئ مما حولى .. لم أسمع صوت النسيم و هو يداعب شباك النافذة المغلق .. أو خشخشة بعض أوراق الشجر الملقاة بأهمـال فـوق حديقـة المنـزل .. لم أسمع صوت الثلاجة الذى يأتى أعلى من المعتاد ..أو ألاحظ تجمد أطرافى من

البرد رغم أغلاقى لكل منافذ الهـواء .. حتـى كـوب الـشاى الـساخن الـذى أحضرته أهملته حتى أصبح بارداً .. كنت أترقب نهايـة الروايـة و معرفـة مصير البطل .. أقتربت من نـهاية القصة و المطاردة مستمرة .. أقرأ بسرعة و أكاد ألتهم الأسطر ألتهاماً .. البطل يظن أنه نجح فـى الفـرار و لكـن الـشبح يعثر عليه .. قاربت على الوصول لنهاية الفصل الأخير و الروايـة كلـها .. قبل أن تقع عيناى على تلك الأسطر فى نهاية الصفحة التى أقرأها

" تسلل ببطء شديد نحوه ، بدأ الشبح يدنو من الشخص الجالس الذى لم يشعر بوجوده ، أخيراً عثر عليه بعد طول مطاردة ، أقترب منه بحذر ، لم ينتبه له ، مستغرقاً فى القراءة ، مـسترخياً علـى كرسيه الـوثير ذو اللـون الأسود ، مرتدياً معطفاً من الصوف لا يحميه من برودة الجو و أمامه يستقر كوب الشاى الذى فقد حرارته . لا يسمع سوى صوت تنفسه مصحوباً أحياناً بصوت هدير مروحة الثلاجة العالى ، يقلب فى كتاب قديم أمامه على ضـوء خافت ، أقترب منه ببطء و هو يستمتع برؤية آخر لحظات ضحيته التاليـه ، و .... "

أنتهت الصفحة .. قلبتها بسرعة .. أصطدمت برؤية الصفحات البيـضاء فى نهاية الكتاب

الضريبة

علمتنى الحياة أن لكل شئ ضريبة .. و أنها مثل تاجر حريص لا يمنح لشخص شيئاً دون مقابل .. و بدأت فى هذا الأيمان من صغرى .. كانت جدتى التى علمتها تجارب الحياة تقول لى دائماً أن الأنسان يدفع ثمن لكل نجاح يحققه فى الحياة .. و الثمن يختلف من شخص لآخر .. و من نجاح لآخر .. و لم أكن أفهم كلامها فى البداية لكننى بدأت أستوعب معناه بل و أؤمن به مبكراً .. أتذكرأول تجاربى مع معادلة الحياة بدأت فى سن مبكرة عندما نجحت بتفوق فى مرحلتى الأعدادية وللمرة الأولى جاء ترتيبى الأول على مدرستى .. بعدها تعرضت لحادث و أنكسرت قدمى .. و قضيت أجازتى كلها عاجزاً عن الحركة مستلقياً على سريرى أتطلع بحسرة إلى ساقى المحاطة بالجبس الأبيض بينما زملائى يلهون بمرح فى الخارج .. و عندما نجحت بعدها بسنوات قليلة و ألتحقت بالكلية التى أحبها و طالما حلمت بها .. خسرت أفضل أصدقائى بعد خلاف طارئ وأنتقلت للسكن بعيداً عن أهلى

و هكذا مضى بى الزمن و أنا أدفع ضريبة كل نجاح أحققه .. و الدنيا علمتنى أنها ليست كريمة لتهبنى شئ دون مقابل .. و تعودت أن أتلفت

حولى حذراً كلما حققت نجاحاً .. فما أن أنهيت دراستى الجامعية و عثرت بعدها بأسابيع قليلة فقط على عمل مميز فى شركة مرموقة و براتب عـالى لا يحلم به زملائى .. حتى تفاجئنا بقرار أزالة للبيـت القـديم المتهالـك الـذى يأوينى أنا و عائلتى ، و أضطرت الأسرة إلى الأنتقال من بيتنا القديم الرحب إلى شقة صغيرة متواضعة

أستلمت عملى بعد أنتقالنا و سارت الحياة بى بطيئة .. أنشغلت بعملـى لفترة ليست بالقصيرة حتى تعرفت فى بيتنـا الجديـد علـى أبنـة الجـيران بالمصادفة و تعلقت بها فغيرت حياتى .. تبادلنا الحب فلم تكد تمضى بـضع أشهر حتى قررت التقدم لخطبتها .. ترددت كثيراً فى البداية خاصة أنى لا أملك من حطام الدنيا أى شئ يذكر إلا أن أهلها رحبوا بى رغم قلة أمكانياتى وقتها .. دفعتنى تلك الخطوة للأجتهاد أكثر فى العمل لتحقيق النجاح الذى حلمت دوماً به .. واصلت العمل ليلاً و نهاراً بلا راحة لتأمين مستقبل أفضل لها .. أهملت صحتى كثيراً حتى تفاجئـت يومـاً بـآلام هائلـة تهـاجمنى .. خضعت لعملية عاجلة لأستئـصال الزائـدة التـى أهملـت و تجاهلـت بـوادر ألتهابها الأولى ، و أضطررت لترك عملى لفـترة طويلـة بعـد الجراحـة كـى أستعيد صحتى مرة أخرى .. و قبل أنتهاء فترة النقاهة تفاجئـت بأسـتغناء الشركة عن خدماتى نتيجة لغيابى الطويل .. و خـسرت العمـل بعـد أشـهر قليلة فقط من خطبتى .. بحثت كثيراً عن عمل آخـر مناسـب بـلا جـدوى ..

هدانى تفكيرى بدافع اليأس إلى البحث عن فرصة عمل بالخارج رغم رفضى لتلك الفكرة من قبل و تخوفى الشديد منها .. تواصلت مع عمى الذى يعمل من فترة طويلة بأحد الدول العربية .. و مرت شهور حتى كدت أيأس أنتقلت خلالها بين عدة وظائف مؤقتة قبل أن ينجح عمى أخيراً فى الحصول على عقد عمل مميز لى .. طرت فرحاً بالعقد .. و لكنى فى المقابل أضطررت إلى تأجيل زفافى حتى تستقر أوضاعى فى الخارج .. و سافرت و صورة خطيبتى لا تكاد تفارق ذهنى

قضيت عامان فى الغربة و أحسست أنهما دهراً كاملاً بعيداً عنها .. وفى أول أجازة لى تم الزفاف .. أصطحبت زوجتى بعد أنتهاء الأجازة للخارج .. شجعنى زواجى على الأجتهاد أكثر فى العمل مع عدم أهمال صحتى بعد أن تعلمت الدرس من تجربتى الأولى .. حققت نجاحاً كبيراً بعد أن أستقرت أحوالى .. و نلت بسرعة ترقية حسدنى عليها زملائى .. و بدأت بوادر الحمل تظهر عند زوجتى ..عشت وقتها حقاً أسعد أيام عمرى .. و ظننت واهماً أن الدنيا أسقطتنى من حساباتها الدقيقة أخيراً .. قبل أن أستيقظ يوماً فزعاً على صراخ زوجتى و تفاجئت بها و هى تنزف . نقلتها بسرعة إلى المستشفى .. و هناك أجروا لها عملية عاجلة خرج طفلى الأول منها للعالم بلا حياة .. صدمتنى التجربة .. و بكيت بألم ربما لأول مرة فى حياتى .. و لم يخفف عنى إلا أطمئنانى على سلامة زوجتى فى النهاية

.. و هكذا توالت بعدها سنوات الغربة .. و لم تغير الدنيا عادتها الأصيلة معى .. معادلة الحياة وقانونها الثابت الذى لا يتغير .. كل لحظة سعادة يقابلها لحظة ألم .. وكلما حققت نجاحاً دفعت ضريبته .. عاجلاً أو آجلاً أدفعه .. فعندما أنجبت لى زوجتى أخيراً أبنى الوحيد .. خسرت مبلغاً كبيراً من المال فى المضاربة بالبورصة .. و عندما عدت للوطن بعد فترة غياب طويلة .. و أفتتحت شركتى الخاصة و نجحت نجاحاً كبيراً .. رحلت والدتى العزيزة

و هكذا سارت بى الأيام .. و تعودت أن أكسب شيئاً فأخسر شيئاً آخر أحبه .. و كل مكسب فى حياتى له ضريبة أؤديها مرغماً .. أحياناً تكون الضريبة بسيطة و سهلة .. كأن ينجح أبنى فيخسر فريقى المفضل مباراة هامة .. أو أن أنجح فى عقد صفقة مهمة فيظهر خلاف بسيط و طارئ بينى و بين زوجتى ، أو أتعرض وقتها ربما لوعكة صحية مفاجئة .. و أحياناً تكون الضريبة باهظة لا أستطيع تحمل ألمها .. فلا أنسى يوم تخرج أبنى من كليته .. وبدأت أراه شاباً يافعاً أمامى يتلمس خطوته الأولى على طريق حياته العملية .. حتى رحلت زوجتى الحبيبة التى عاشت معى كل متاعب الحياة قبل أفراحها

كنت قد أقتربت من الستين .. و بدأت قواى تضعف .. و أصبح للحياة طعم مختلف بعد وفاة زوجتى .. بدأت أشعر بالوحدة و الضعف بدونها ..

و أصبح كل أهتمامى فى الحياة منصباً على إبنى

وتزوج أبنى أخيراً وأكتملت فرحتى به .. و تمت مراسم الزفاف على عروسته بسرعة .. أنتظرت بلهفة أنباء عن قدوم حفيدى الذى لم أعد أحلم إلا به .. و لكن أشهر طويلة أنقضت دون جديد .. و رغم تأكيد الأطباء على سلامة كل منهما .. إلا أن أشهر توالت سريعاً دون أن تلوح فى الأفق أى بادرة أمل حتى أكتملت ثلاث سنوات .. و تفاجئت يوماً بزيارة من أبنى يحمل إلى خبر حمل زوجته أخيراً بحماس .. شعرت أن الحياة تعود إلي من جديد .. و أحسست بدماء جديدة تسرى فى عروقى .. تخيلت نفسى و قد أصبحت جداً أخيراً .. اللحظة التى لم أعد أشتاق إلا إليها .. و توالت الأيام بعدها سريعة و أنا فى غفلة عن حسابها قبل أن أتلقى صباح أحد الأيام أتصالاً من أبنى يبلغنى فيه أن زوجته بالمستشفى .. هرعت إلى هناك بصحبة قلق يكاد يفتك بأعصابى .. قابلت أبنى و هو يذرع المكان أمام باب غرفة العمليات بتوتر واضح بينما ترتسم على وجهه كل علامات القلق و الخوف .. تحرك شعورى بالشفقة نحوه .. حاولت طمأنته بلا فائدة .. كان فى حالة يصعب معها تهدئته .. علمت منه بصعوبة أن زوجته تأخرت فى غرفة العمليات و الطبيب أبلغه بأن الولادة متعسرة .. جلست بجواره أخفى توترى لا أدرى كيف أتصرف .. مرت علينا الدقائق ثقيلة و أبنى بجوارى فى عالم آخر يحكمه القلق ، و حفيدى الذى أشتاق إليه دون أن أراه لا يعلم

أحد مصيره .. و أنتابنى خوف أن تتكرر مأساتى مرة أخرى يوم أن جاء أول طفل لى بلا حياة .. نظرت إلى أبنى بخوف و قد غمرنى شعور بالعطف نحوه .. رجعت بذاكرتى للوراء و تذكرت يوم كنت فى نفس موقفه .. آلمنى أن أقف عاجزاً ليس بأمكانى القيام بشئ لمساعدته .. وجدت نفسى أتجه للصلاة .. ظللت أدعو لأبنى كثيراً و عندما رجعت إليه أنتابنى شعور غريب بالراحة .. جلست و سرحت مع تيار أفكارى .. تراءت أمامى كل صور حياتى و مشاهد تلك الرحلة الطويلة من التجارب و الآلام حتى أنتهت بى إلى هنا .. و ربما .. للمرة الأولى بدأت أسترجع كل تجارب عمرى بمنظور آخر .. أراها الآن أمامى بزاوية جديدة لم أعهدها فى نفسى .. أتذكر عندما أنكسرت ساقى و قضيت أجازتى كلها فى السرير .. لم يكن يسلينى وقتها سوى الكتب التى يحضرها والدى .. و التى بدون ذلك الموقف ما قرأتها .. و هى التى شكلت ثقافتى وأفادتنى كثيراً فيما بعد .. أتذكر الآن فقط عندما أنهار بيتى القديم الواسع و أنتقلت الأسرة إلى السكن الجديد .. و رغم المعاناة بسبب ضيق السكن و تواضعه .. إلا أنى تعرفت هناك على زوجتى و شريكة عمرى .. كيف نسيت أن بسبب مرضى و فصلى من عملى ما فكرت فى البحث عن عمل فى الخارج و أنا الذى كنت أرفض هذه الفكرة من قبل ، و لو كتب لى أن أستمر فى عملى القديم ما كونت ثروتى أو حققت نصف ما حققته فى الغربة فى سنوات قليلة .. و الدرس القاسى الذى تعلمته عندما

جاء أبنى للدنيا و خسرت مبلغاً كبيراً من المال فى البورصة .. تعلمت منه أن لا أخاطر بأموالى بعدها مرة أخرى إلا بعد دراسة و حساب دقيق ، و ربما كان هذا سبب نجاحى بعد ذلك .. تذكرت كل ذلك .. و تعجبت كيف لم أفكر يوماً بتلك الطريقة من قبل .. و أحسست أن الدنيا برغم أنها فرضت على ضرائب ثقيلة أحياناً .. و لكنها منحتنى فى مقابلها ما هو أكثر قيمة .. و أن ضرائبها رغم فداحتها كانت أحياناً درساً لم أكن لأتعلمه إلا بهذه الطريقة ..

أفقت من شرودى على صوت باب حجرة العمليات و هو يفتح و تندفع منه المرضة .. ثم بعدها بصراخ طفل صغير يشق هدوء المستشفى .. و رأيت ملامح الفرح ترتسم على وجه أبنى عندما أسرعت أحد المرضات إليه تحمل البشارة بقدوم أبنه .. طفرت الدموع من عينيه فرحاً و من عينى أيضاً .. و لكن كان علينا الأنتظار قليلاً لرؤية الولد .. لم يستطع كلانا الجلوس .. وقفت بجوار أبنى مترقباً تلك اللحظة التى أرى فيها حفيدى .. و عندها قفز إلى ذهنى سؤال مفاجئ أقلقنى .. خاطر خبيث سيطر على عقلى لم أستطع دفعه بعيداً .. ما الضريبة التى على أن أدفعها تلك المرة مقابل تحقيق هذا الحلم .. هل سأخسر شخصاً قريباً .. هل سأعانى فى صحتى أو فى العمل .. أو يكتب على ما هو أسوأ .. لا أعلم .. و أزعجنى الخاطر كثيراً حتى طغى على فرحتى .. مرت ساعة على أنتظارنا قبل أن تسمح لنا

المرضة بالدخول أخيراً لرؤية الطفل .. رأيت حفيدى نائماً بأستسلام بين يدى أمه .. قفز قلبى فرحاً و أنا أطالع كتلة اللحم الحمراء العزيزة تلك .. أحسست بقوة غريبة تسرى فى جسدى الواهن .. أحتضنت الولد عالياً بين يدي برفق .. نظرت إلى وجهه البرئ و قد بدأ جسمه يتحرك قليلاً ليفيق من نوم ساحر ، و يلقى بنظراته الأولى البريئة على وجهى .. و تلاشت مع رؤيته بين ذراعى كل خواطرى .. فى تلك اللحظة لم يعد يهمنى الضريبة التى سأدفعها الآن من أجل رؤية هذا الوجه الملائكى .. مستعد الآن لأى ضريبة مهما كانت بل و سأرحب بها برحابة صدر .. وجدت نفسى بلا أرادة أرفع بصرى إلى السماء و أنا أحتضن حفيدى الصغير بين ذراعى .. و بدون وعي أبتسمت برضا

العدو

كانت تجلس فى حديقة الفيللا و هى تداعب كلبهـا الـضخم .. أسـتلقى الكلب على الحشائش بتكاسل بينما أستسلم تماماً لمداعباتها .. هكـذا أعتـاد الجيران على رؤية هذا المشهد كل صباح منـذ هبطـت الـسيدة و كلبهـا علـى الحى .. تتناول أفطارها فى الحديقة و هى تطالع الجرائد بينما يقبع الكلب تحت أقدامها .. أقترب بعض الأطفال من سـور الحديقـة .. وقـف بعـضهم يتطلع إلى الكلب بفضول .. زمجر الكلب قافزاً نحوهم فتراكضوا بعيداً عنـه بخوف

كان من النادر حقاً رؤية كلب مثله .. على الأقل فى محيط الحى .. كـان حى هادئ من قبل تسكنه العديد من العائلات الأرسـتقراطية قبـل أن تهـبط عليه صاحبة الكلب فجأة .. رجعت من الخارج عند وفاة والـديها .. أقامـت فى الفيللا الكبيرة التى ورثتها عنهم .. أثار مجيئها تـساؤلات العديـد مـن جيرانها .. و لكن ما أثار أنتباههم أكثر هو الكلب .. لم يـر أحـد مثلـه مـن قبل .. يتمتع بضخامة هائلة و شعر غزير أسود يكـسو جـسده .. فـم واسـع يكشف عن أنياب حادة و عينان مخيفتان .. تثير رؤيته الفزع .. أتت به من الخارج .. يقولون أنه كلـب هجـين تتميـز سـلالته بـالعنف و الـشراسة .. يظل نباحه المخيف يوقظ الجيران كل ليلة .. رؤيته و الزبد يتطاير من فمـه

لا تدفع أحد لمجرد التفكير فى الأقتراب من الفيللا رغم جمال صاحبتها

قالت لها أحد صديقاتها من قبل : لا أعرف كيف تحبين هذا الكلب

فى الواقع كانت تحب كل الكلاب بصفة عامة .. ربما لأن الكلاب تمتلك حاسة الوفاء التى أفتدقتها فى علاقاتها مع رجال كثيرون من قبل .. و لكن ذلك الكلب تحديداً كانت تتعلق به بشكل غير عادى .. عندما عادت من الخارج لم تكن تفارقه إلا ساعات قليلة فى اليوم .. كانت وحيدة بعد وفاة والديها .. و أقامتها فى الخارج لفترة طويلة قطع كل صلتها بأصدقائها القدامى .. و لهذا كانت تستغنى بصحبته عن الناس .. كما أنها أحست بالخوف أكثر وسط الحى الراقى الذى سكنته حيث معظم سكانه من كبار السن الذين لا يعشقون سوى الهدوء و يتعاملون بحذر مع أى وافد جديد .. و كان أكثر ما يزعجها السكون القاتل الذى يشمل الحى مساءاً حيث تنعدم الحركة .. سكون تشعر معه بعدم الأمان و هى التى أعتادت حواسها على الضوضاء و المعيشة وسط الزحام فى المدن الكبيرة .. هكذا ظل الكلب بمثابة صمام الأمان لديها .. كانت توليه عناية خاصة و تغرق مشاعرها عليه .. و شعر الكلب بأهتمام سيدته بطبيعته .. و لهذا كان يتفانى فى أخلاصه الغريزى لها .. يظل طوال الليل تحت نافذتها .. يزعج الجيران بنباحه المخيف حتى تطمئن سيدته و تشعر بالأمان فتنام .. و مع أقل صوت للرياح الخبيثة و هى تعبث بالأشجار .. أو لكائن ليلى خرج لسوء حظه بحثاً عن

طعام .. كان ينبح بشكل مجنون .. و يكشر عن أسنانه الحادة .. و يندفع فى الحديقة كأسد يحرس عرينه .. و عندما يقترب غريب من باب الفيللا .. يتربص به .. يتريث لبرهه و هو يراقبه .. ثم ينقض فجأة مزمجراً مسبباً للغريب أقصى درجات الهلع .. و كان على أستعداد بالفعل ليقضى على أى متطفل بلا تردد .. و لم يكن يمنعه سوى باب الفيللا الحديدى .. و لهذا لم يزعج السيدة أى غريب .. أو يقترب منها جار من الحي

و أطمئن الكلب لحياته .. كان سعيداً بها .. و تمنى لو تستمر الأمور على هذا المنوال .. و لكن الحياة بالنسبة لسيدته بدأت تتغير تدريجياً .. عرفت كيف تكتسب الكثير من المعارف على مر الأيام .. و تحولت المعارف إلى صداقات خصوصاً بعد أستلامها لعمل جديد .. و بدأت أرجل غريبة بالنسبة للكلب تدب داخل البيت .. كان يزمجر فى البداية و يستعد للأنقضاض و لكن أشارة واحدة من سيدته كانت تجبره على التراجع خائباً .. و أنشغلت عنه .. و لم تعد تقضى بصحبته وقتاً طويلاً كما كان الحال من قبل .. و الأسوأ هى تلك الحفلات التى أعتادت على أقامتها بعد عودتها بعدة أشهر .. لم يكن يضايقه أكثر من رؤية كل هؤلاء الغرباء يغزون البيت الذى أعتاد أن يمرح فيه وحيداً .. يدهسون بأقدامهم الحشائش فى حديقته – عرينه الخاص – التى يحفظ كل شبر منها بلا خوف .. و يسرقون منه أهتمام سيدته .. و كانت هى فى البداية تعرض كلبها غريب الشكل على

أصدقائها .. تفتخر به أمامهم .. و حاول البعض أن يلاطفه .. و لكنه كان يزوم بغضب مما يدفع أى شخص بعدم المخاطرة بالأقتراب منه .. لم يعتاد أن يقبل يداً تلمسه سوى يد سيدته .. و بدأ الضيوف ينزعجون منه .. أضطرت لربطه فى أحد أركان الحديقة بعد أن أشتكى ضيوفها منه .. و لأول مرة داخل المنزل يلتف طوق حول عنقه و تحجز حريته سلسلة طويلة لا تسمح له سوى بالتحرك فى حدود دائرة ضيقة قطرها ثلاثة أمتار .. و إن كانت تطلق سراحه بعد أنصراف الضيوف

كان الكلب يراقب سيدته بحزن .. و لكن الأسوأ بالنسبه له لم يأت بعد .. أعتاد الغرباء مغادرة المنزل فى نهاية كل حفلة فيبقى هو و سيدته فقط فى الليل .. و لكن بعد فترة لاحظ أن أحد الغرباء أصبح لا يغادر المنزل .. يتجول فى البيت بحرية .. يتناول الطعام معها .. يضحكان و يخرجان برفقة بعضهما .. و مع مرور الوقت أصبح لا يرى سيدته إلا و هى برفقته

و لم يعرف الكلب ماهية الشخص الغريب الذى أحتل مكانته لدي سيدته .. و نظر بقلق لسيدته التى لم تعد تشعر بالوحدة بعد أن أرتبطت بالغريب .. و أزداد تجاهلها لكلبها المدلل .. و أزداد هو انطواءاً .. و مما زاد من صعوبة الأمر عليه هو ذلك الكائن الصغير الذى هبط على حياتهم فجأة دون سابق أنذار.. قط أبيض صغير يكسو الفراء الذهبى جسده .. أحضرته سيدته يوماً داخل صندوق متوسط الحجم .. و بمجرد أن فتحت

الصندوق حتى قفز إلى الحديقة مصدراً مواءاً مزعجاً .. و شعر الكلب بكره غريزى تجاه المعتدى الجديد .. و تحول ما تبقى من أهتمام السيدة إلى الكائن المزعج الصغير .. كان يراه ينام على الأرائك داخل المنزل و هى تلاطفه بينما يسهر هو فى الخارج .. و فى الصباح كان يرى سيدته تتناول أفطارها بينما يستقر القط على قدميها و هى تداعبه .. تتذكر يوم كانت تربت على ظهره و هو تحت أقدامها كل صباح و كان ينتظر تلك اللحظة بلهفة لينعم بتدليل سيدته .. يؤلمه أن هذا القط اللعين يأخذ مكانه .. تذهب للتنزه الآن بصحبة قطها الجديد بدلاً من أصطحابه .. بل أن القط تجرأ يوماً و نزل الحديقة بدون سيدته .. عرينه الوحيد الذى تبقى له .. و بمجرد أن أقترب منه للأنقضاض عليه حتى صاحت سيدته فيه بحدة بعد أن خرجت فجأة .. و لم تعد تطلقه فى الحديقة ليلاً بعد أن خافت على قطها منه .. و أعتاد القط بعدها أن يتسلل إلى مكان الكلب .. يمشى ببطء أمامه ليثير غضبه .. بل و يقضى حاجته فى كل أنحاء الحديقة بعد أن أصبحت ملكه الآن و أنطوى الكلب بركن صغير منها ..

و رحل الرجل فجأة .. رآه يوماً يتشاجر مع سيدته و أرتفع صياحهما .. كان على وشك ضربها عندما هرعت سيدته إليه .. حررت السلسلة و أمسكت به بقوة .. شعر بأنها تريد حمايته .. و بثبات نهض ليحول بينها و بين الرجل الذى جاء لملاحقتها .. سال الزبد من فمه و هو يزمجر بقوة

مكبوتة من زمن .. و فقد الرجل رجولتـه أمـام هـذا المنظـر .. بينمـا وقفـت سيدته بثقة وراء الكلب و هى تشعر بالأمان .. كانـت أسـعد لحظاتـه و هـو يرى سيدته تعود أخيراً لحمايته .. و لم يتردد الرجل طويلاً .. أطلق ساقيه للرياح منسحباً .. وأنتظر بفارغ الصبر أشارة من سيدته ليـنقض علـي هـذا الجبان الهارب و يمزق أوصاله و لكن سيدته منعته .. كانت تدرك تماماً أن كلبها عنيف و أن الأمر لن يمر بسلام إذا أطلقته .. و لم يعد للغريب وجـود .. و عاد الكلب لمكانته .. و إن بقى القط اللعين .. و لكنه لم يعد يجرؤ علـى النزول للحديقة .. و عادت سيدته لتدليله كالسابق

و جاء رجل آخر .. بعد فـترة قـصيرة مـن الـسعادة قـضاها الكلـب مـع سيدته بدون غرباء .. و صمم الغريب الجديد على نفى الكلب إلى أقصى ركن فى الحديقة .. و عادت سيدته لأحـضان الغريـب الـذى كـان واضـحاً كرهـه للكلب من أول يوم .. حتى أنـه كـان لا يطعمـه إلا كـل يومـان .. و أنكمـش الكلب مرة أخرى .. و بدأ يراقب ما يحدث بـدون فهـم .. لا أحـد يـستطيع حماية سيدته مثله .. فلما تلجأ إلى هؤلاء الرجال .. و هـذا الأخـير .. أنـه أثقل ظلاً مـن سـابقه .. بأمكانــه أن يثبـت كفاءتـه بـسهولة إذا تركتـه فـى مواجهة هذا الرجل بدون السلسلة التى تكبله .. يتمنى لـو يحـدث هـذا .. بأمكانه وقتها أن يمزق أوصاله فى لحظات .. و لن يعود فـى حاجـة لرؤيـة تلك الضحكة الساخرة التى يقابله بها كل مرة عندما يراه .. سيسحق عظامه

و يبرهن لسيدته من هو الأقوى و الأجدر بحمايتها .. و تساءل لماذا لا تفضل سيدته حمايته و هو لم يجرؤ يوماً أن يؤذيها كما أذاها هؤلاء الغرباء من قبل .. أنه أكثر أخلاصاً منهم بلا شك .. ولن يقدم أحد منهم فروض الطاعة لها كما أعتاد هو .. فلماذا تظل تتمسك بهم إذن و تتخلى عنه

و مضت الأيام .. و عاد يسمع صراخ سيدته مع الغريب .. و رآه يوماً يضربها .. أنتفض واقفاً على قدميه بتحفز .. و علا نباحه .. أنطلق لكن السلسلة منعته .. و سببت ألماً شديداً فى عنقه و هو يحاول الخلاص منها .. و توقع أن تلجأ إليه السيدة و لكنها لم تفعل .. و سرعان ما تصالحا .. و تكررت المشاجرات بينهما .. و بدأت السيدة تلجأ إلى قطها المدلل عندما تكون حزينة .. تمنى لو تلجأ إليه .. كل ما يريده هو فرصة واحدة فقط ليثبت لها أنه أكثر قوة و أخلاصاً من أى أحد آخر .. تمنى لو تركته فقط فى مواجهة غريمه للحظات لينهى وجوده المؤلم فى حياتها

و حاول الغريب الجديد التقرب من الكلب .. و بدأ يطعمه بعد أن أهملت سيدته هذا الأمر .. و لكن أستمر عداء الكلب له و إن كان لم يعد يظهر هذا الكره تجاهه .. فعليه أن يسايره حتى يحصل على طعامه بعد أن هجرته سيدته .. و زادت المشاجرات بين الغريب و سيدته .. يراه كثيراً يضربها بالقرب منه .. و كانت تتحمل هى أهاناته و يعود هو لمصالحتها كل مرة

و فى صباح أحد الأيام خرجت السيدة مع قطها لتناول أفطارها فى الحديقة كالعادة .. كانت ترتدى نظارة سوداء تدارى بها كدمات على وجهها .. خرج الغريب بعدها بفترة .. كان الكلب مستلقياً فى ركنه بتكاسل عندما سمع صياحهما .. لم يفهم فيما يتشاجران .. و لكن كان واضحاً أن سيدته غاضبة جداً من الغريب .. و تطور الأمر بينهما سريعاً .. و صفعها الرجل على وجهها .. هب الكلب واقفاً .. ضربها مرة أخرى و تركها ممددة على الأرض .. نهضت و الدماء تسيل من أنفها .. حاولت أن تعتدى على الرجل و لكنه كان أقوى منها .. نظرت إليه بنظرة ملؤها الغضب و أسرعت إلى كلبها .. و لأول مرة من فترة طويلة يرى سيدته تقبل نحوه .. كان يشاهد الصراع و كل عضلة فى جسده تتحفز و تنتفض غضباً .. شعر أنها اللحظة التى ينتظرها .. و بسرعة حررته من السلسلة تماماً و ألقت بها بغضب على الأرض .. ثم ألقت إليه بأشارة معينة .. أشارة تدرب عليها منذ صغره تطلق كل عدوانه .. أشارة معناها أن ينقض على العدو بلا رحمة .. أن يجهز عليه بلا تردد .. و لم تحتاج أن تكرر الأشارة .. كان قد بدأ بالركض فعلاً .. وضع عينه على عدوه .. بينما ظل الرجل فى مكانه ينظر إليه بأستهانة .. ركض بجنون نحو الهدف .. أندفعت الدماء إلى عينيه من الغضب .. كشر عن أنيابه .. تدفق الزبد من فمه .. زمجر بقوة .. و أنقض بسرعة مخيفة .. على القط الأبيض المدلل

القيمة

لم يعرف صبرى يوماً قيمة زوجته .. فهو يعاملها دائماً كخادمة .. و من أول يوم فى زواجهما و هو لا يقيم لها أو لآرائها وزناً .. فقيمة زوجته بالنسبة له لا تزيد عن قيمة أى قطعة أثاث فى المنزل .. و ربما ورث صبرى هذا عن والده .. فقد تربى و هو يرى والده يعامل أمه بهذا الشكل .. فلم يعد غريباً عليه أن يسير على خطاه عندما كبر

كان زواجه تقليدياً .. و لم يكن غريباً أن يفرض شخصيته على زوجته من أول لحظة .. فهو رجل البيت المسئول عنه و الذى يتولى الأنفاق عليه .. و لم تكن هى تعارضه فى أى قرار يتخذه .. ربما حاولت مرة أو أكثر من قبل .. و ربما أنتهت الأمور بنتائج غير جيدة بالنسبة لها و لهذا آثرت عدم المحاولة مرة أخرى .. و أستسلمت تماماً لأرادته

و فى الواقع لم يكن صبرى بالرجل السئ .. فهو رغم شخصيته العنيدة إلا أنه تاجر معروف بأمانته ، شجاع وكريم كما يراه الناس ، شهم و " ابن بلد " كما يزعم أصدقائه .. و لكن تحيزه الشديد لآرائه و عدم قبوله سواها ظل بالتأكيد يشكل أبرز عيوبه .. و ظلت رؤيته للمرأة تحديداً ثابتة لا تتغير رغم تغير كل ما حوله ، و موضع سخرية – و أحياناً أعجاب – لكل

من عرفه .. فهو يؤكد فى كل مناسبة أنها لا تصلح للأعتماد عليها ، بل كان يعيب بشدةعلى بعض زملائه عندما يعلم عن تدخل زوجاتهم فى شئون حياتهم .. و لهذا لم يحاول أستشارة زوجته يوماً أو استطلاع رأيها فى أى أمر .. بل كان يضربها أحياناً إذا خالفت أحد أوامره .. أو أتخذت قراراً دون الرجوع إليه

و أنجب صبرى ولداً جميلاً بعد عامان من زواجه .. و كبر الولد أمامه و هو يتابعه بلهفة .. و تعلق بأبنه الوحيد لدرجة أنه كان يعود أحياناً من العمل أبكر من المعتاد فقط ليقضى بعض الوقت معه .. بل و يسهر بجواره ليلاعبه رغم عودته مرهقاً من العمل .. و تعهد صبرى لنفسه على أن لا يبخل بأى جهد ليراه سعيداً .. و بدأ يدلل أبنه كثيراً و إن كان يخشى أحياناً أن يفسده التدليل الزائد

و بلغ أبنه أربعة أعوام .. و بدأ ينزل للحارة ليلعب مع أقرانه .. و عاد صبرى يوماً للحارة مرهقاً بعد أنتهاءعمله ليتفاجئ برؤية أبنه يتشاجر مع طفلين أكبر منه حاولا سلب بعض ألعابه .. أسرع إليه على الفور، و أصطحبه للمنزل و جسده يرتجف من الأنفعال .. و فى الطريق بدأ الغضب ينتابه لرؤية الدماء و هى تسيل بغزارة من أنف أبنه و تغطى وجهه بينما لمح بعض الكدمات تظهر بوضوح أعلى ذراعيه .. و على الرغم من غضبه أحس صبرى بالفخر لشجاعة أبنه .. فأبنه حسن لم يهرب من القتال على

الرغم من أن الأطفال المعتدين كانوا أكبر منه سناً و حجماً .. بل و واجههم بشجاعة .. و أدهشه أنه على الرغم من الضرب الذى تلقاه .. لم يبكى مثل كل الأطفال ..

والغريب أن صبرى لم يتذكر أنه رأى أبنه يبكى منذ أن شب و أصبح بأمكانه أن يقف على قدميه بمفرده .. حتى عندما أصطحبه للمدرسة للمرة الأولى لم يبكى مثل كل الأطفال من حوله .. و عندما كان أحد المعلمين يعاقبه بالضرب .. لم يكن يخاف أو يرتجف مثل باقى زملائه .. بل كان يتلقى الضرب بهدوء دون أن يصيح ألماً .. هكذا أخبره ناظر المدرسة صديقه و هو يحكى له عن شجاعة أبنه التى لم ير لها مثيلاً من قبل .. و بدأت تصرفات أبنه تستدعى أنتباهه .. كان يلاحظه يختلط و يلعب مع أطفال أكبر منه سناً دون خوف .. يتركه وحده بالمنزل ليخرج مع أمه لشراء بعض الأحتياجات فلا يخاف أو يبكى .. حتى الظلام لم يعد يخشاه .. فهو أعتاد أن ينام فى غرفته ليلاً بمفرده بعد أن يسود الظلام المكان تماماً .. بل و يسمعه أحياناً يتوجه للحمام فى منتصف الليل دون أن يوقظ أحداً لأصطحابه مثلما يفعل كل الأطفال فى عمره .. و رغم حب صبرى لأبنه إلا أن هذا لم يمنعه من ضربه أحياناً عندما يخطئ .. و لكن الأبن لم يهرب يوماً من العقاب أو يبكى عندما يتلقاه .. و لهذا زاد من تعلقه بأبنه .. و دهشة من سلوكياته

و وقعت حادثة ذات يوم عندما جلب أحد الجيران كلباً كبيراً لحراسة

منزله .. كان أطفال الحي يخافون من الأقتراب منه .. يقذفونه أحياناً بالحجارة ثم يركضون بعيداً و لم يكن يمنع الكلب سوى السلسلة الكبيرة التى ألتفت حول عنقه بأحكام و ربطت فى سور الحديقة .. و ذات يوم بينما حسن فى طريق عودته من المدرسة إذا بأحد زملائه يقذف الكلب بحجر كبير .. و هاج الكلب فوراً .. و لسوء حظه كان بالقرب من الكلب وقتها الذى أنتهز الفرصة و عقره .. و لأنه كلب ضخم غاصت أنيابه فى ذراع حسن .. و صرخ حسن و لكنه قاوم الكلب بشدة حتى أضطره للتراجع .. و تم نقله للمستشفى بسرعة .. و أسرع صبرى إلى هناك فور أن علم بالخبر .. و فى المستشفى لم يبكى حسن على الرغم من أصابع الطبيب و هى تطهر الجرح العميق و تزيده ألماً و إن أكتسى وجهه بلون قاتم من الألم .. و ترقرقت الدموع فى عينى أمه و هى ترى قسوة المنظر بينما وقف الأب عاجزاً يتمنى لو بأمكانه أن يحل محله لمنع الألم عنه

و داوم صبرى على حمل أبنه للطبيب مضطراً ليحقنه بشكل يومى و لمدة ثلاث أسابيع متواصلة بعد أن عقره الكلب .. يصطحبه حانقاً فهو يعلم كم تسبب من ألم .. تذكرأنه هو نفسه مر بتجربة مماثلة من قبل عندما عقره كلب ضال فى قريته و كان وقتها فى سن أكبر من سن أبنه .. لا ينسى كيف كانت تؤلمه وخز الحقن وتدفعه للبكاء أحياناً .. و لكن أبنه لم يبكى أو يخاف و هو ما أثار أستغراب الطبيب الذى كان يمنح حسن قطع من الحلوى

أحياناً مكافأة على قوة تحمله

و أنجب صبرى ولداً آخر فأنشغل به قليلاً عن حسن .. و أتم حسن ثمان سنوات .. و بدأ يظهر تفوقاً واضحاً فى الدراسة .. و تساءل صبرى من الذى يساعده رغم أنه مشغول دائماً فى العمل .. و ظل يدهشه بتصرفاته رغم صغر سنه .. فهو لا يشتكى أبداً .. و يواجه كل موقف بجرأة بلا خوف .. بل أنه يذهب للمتجر أحياناً مع أبيه ليساعده فى العمل .. و بدأ يتولى شراء كل متطلبات البيت بمهارة يحسد عليها .. فلم تفلح بائعة يوماً أو بائع فى غشه .. و لهذا حرص صبرى على أن يقرب إبنه إليه و يعامله بحب أكبر .. و أصبح مدعاة فخره أمام الناس .. خاصة عندما توجه لزيارة أقارب لهم فى الصعيد و أصطحب حسن معه .. و هناك أعجب الجميع به و أثنوا على سلوكياته .. وأشادوا بصبرى أكثر لأنه غرس فى أبنه كل تلك الصفات الجيدة .. و تساءل صبرى للمرة الثانية كيف أكتسب ابنه كل تلك الصفات من صغره دون أن يعلمه أحد .. و لم يجد جواباً لسؤاله سوى أنه ورثها منه بالتأكيد

و عاد صبرى يوماً من عمله فى المساء بعد يوم شاق خسر فيه مبلغ كبير من المال أثر صفقة خاسرة .. بدا له المنزل أمام عينيه مختلفاً .. لاحظ أن زوجته حركت بعض قطع الأثاث و أعادت ترتيب المنزل أثناء غيابه .. و رغم أن المنزل بدت صورته أفضل .. إلا أنه أغتاظ من زوجته التى لم تحصل

على أذنه قبل القيام بـالأمر .. و عنـدما هرعـت إليـه لأستقباله كـان ثـائر الأعصاب بشدة .. تشاجر معها .. و علا صوته .. و لم تتكلم هى .. أعتـادت أن تتحمل أهاناته بصبر .. و بدأ يفقد أعصابه أكثر عندما لم يجد رداً منهـا .. و فى غمرة أنفعاله .. هوى على وجهها بصفعة قوية

لم يدرى أن أبنه النائم قد أستيقظ على صراخه العالى .. و أن الولد خـرج من غرفته لأستطلاع الأمـر .. و رأى مـا حـدث .. و قبـل أن يهـوى صـبرى بالضرب على زوجته للمرة الثانية أندفع الطفل بلا وعـى ليقـف أمـام أمـه و يحول بينهما .. كان يقف أمام أمه تماماً فاتحاً ذراعيه و كأنه يذود عنهـا.. و ذهل صبرى للحظات و هو يرى طفله يواجهـه و يحمـى أمـه .. و هـدأت ثورته العارمة قليلاً .. كانت الدماء قد بدأت تنزف من أنفها .. تطلع الطفل للدماء و للكدمات التى علت وجه أمه .. ثم رفع رأسه نحو أبيه بسرعة .. و رأى صبرى ما لم يكن يتوقعه .. نظرات صادمة يوجهها الطفـل لأبيـه رغـم براءة سنه .. نظرات تحمل كل معنى الغضب .. بينما و لأول مرة فى حياته .. يرى شيئاً ينساب عبر عيون أبنه لم يستطع أن يمنعه .. شيئاً لم يره مـن فترة طويلة و لم يظن أن يراه .. دموعاً ساخنة يسكبها الطفل بصمت .. آلمـه أن يراها لأول مرة تنساب بغزارة منه و هـو يلتـصق بـشكل أكـبر بوالدتـه بينما الألم يعتصر وجهه البرئ .. تطلع لجسده الصغير الذى يرتجف بقوة فى خوف حقيقى .. وللمرة الأولى أيضاً يرى صـبرى أبنـه خائفـاً .. نعـم ..

خائفاً و بشدة .. و لدهشته .. لم يكن خائفاً منه ، كان خائفاً على أمه

تسمر صبرى فى مكانه مذهولاً للحظات لا يدر كيف يتصرف .. ضمت الأم أبنها إليها بحنان فأستسلم فى أحضانها.. مسحت الدماء التى سالت من وجهها بصمت ..أغمض الطفل عينيه وهدأ قليلاً فى أحضان أمه و قد بدأ جسده يتوقف عن الأرتجاف تدريجياً .. و رغم الألم الذى تمر به ربتت على كتف أبنها بحنان و هى تواصل أحتضانه بيد .. و تمسح دموعه باليد الأخرى .. تراجع صبرى قليلاً .. نظر لزوجته .. أدرك صبرى لحظتها فقط من أين أكتسب أبنه شجاعته .. و من أين أستمد كل الصفات التى يفخر بها .. تلك الصفات التى ظن يوماً واهماً أنه أكتسبها منه .. تراجع خطوة و هو يواصل النظر إليها مذهولاً بلا كلام .. لم يدرك سوى وقتها فقط من القدوة التى تعلم منها أبنه حقاً الصبر و تحمل الألم .. و من السبب وراء تفوقه فى الدراسة و تميزه خارجها .. و المصدر الذى أستمد منه جرأته و ثقته بنفسه .. أحس بالألم و هو يرى نفسه يزرع فى أبنه معنى الخوف الذى لم يعرفه من قبل .. بينما أجتهدت أمه كل تلك السنوات لتنزع من داخله كل المعانى السلبية و تزرع فيه معانى أخرى جميلة يهدمها هو فيه بسهوله تامة الآن .. أطال النظر فى وجهها و كأنه يراها للمرة الأولى بينما أنسحبت هى تجاه غرفتها فى بطء .. و لأول مرة يستشعر صبرى حقاً قيمة زوجته .. و .. لأول مرة أيضاً يعرف الندم على بعض تصرفاته معها طوال كل السنوات

الماضية .. و ..

و لم يعد صبرى يضرب زوجته .. أو يستهزأ بها

و لكنه ما زال متمسكاً بآرائه بعناد تام .. على الأقل أمام الناس .. و إن لم يعد يتطرق إليها كثيراً أو يدافع عنها بحماس كبير كالسابق

أزمة

كنت فى عيادتى أستعد لأستقبال آخر حالة .. طرق المساعد على الباب أستئذاناً قبل ان يفسح الطريق للمريض .. رفعت عينى عن بعض الأوراق التى كنت أطالعها و تطلعت للقادم .. شاب فى بداية الثلاثينيات رياضى القوام يمشى بخطوات ثابتة سريعة و إن كان يبدو عليه بعض القلق .. بالرغم من ثباته الظاهرى إلا أنى لاحظت توتره من خلال خطواته المترددة و نظراته الزائغة التى مسحت المكان فور دخوله .. نهضت لمصافحته و الترحيب به .. جلس على مقعد مقابل مكتبى .. تشاغلت بكتابة بعض الملاحظات لأفسح له المجال ليهدأ قليلاً و تألف نفسه جو العيادة .. تبادلت معه بعض عبارات الترحيب التقليدية أستجاب لها بكلمات سريعة مقتضبة .. أرحت ظهرى على مسند الكرسى ثم وجهت له سؤالى الأول الذى أعلم مسبقاً أجابته

– هل تلك أول مرة تراجع فيها طبيب نفسى ؟

هز رأسه بالأيجاب .. أخرجت دفتر ملاحظاتى لأدون ما سيدور فى الجلسة و لم أفضل أستخدام المسجل حتى لا أزيد قلقه الظاهر للعيان .. سألته عن أسمه فلم أتلقى أجابة منه .. رفعت عينى و نظرت إليه فأطرق إلى

الأرض .. ثم رفع رأسه قائلاً بحزم :

- هل يمكن التجاوز عن مسألة الأسم .. لا أحب أن أكذب عليك .. و سأجيب بصراحة عن أى سؤال آخر .. بعيداً عن هويتى

هززت رأسى متفهمة .. ليست أول حالة يمتنع فيها المريض عن ذكر بياناته الشخصية .. طريقة يلجأ إليها البعض ليشعر براحة أكبر قبل الأنطلاق فى الكلام .. كثير من المرضى بعد عدة جلسات على أى حال يكشفون عن هويتهم من تلقاء أنفسهم بعد أن تبنى جسور الثقة بينهم و بين الطبيب بشكل جيد .. تغاضيت عن مسألة الأسم أذن .. سألته عن المشكلة التى يعانى منها .. أو السبب الذى دفعه لمراجعة الطبيب .. شرد ببصره قليلاً فى سقف الغرفة .. ثم بدأ يحكى بثبات

علمت منه أنه تعرض لحادث عنيف من بضعة أشهر .. حادث قوى أثر بالسلب على أعصابه و ترك آثاراً لا تمحى داخل نفسه لم يستطع التعافى منها .. قبلها لم يكن يشكو من أى شئ غير طبيعى .. شاب عادى ناجح فى عمله .. أجتماعى و له علاقات متعددة .. الآن أصبح يثور بسرعة .. ينزعج من الأصوات العالية .. يتجنب الناس و يفضل العزلة بعيداً عنهم .. و المشكلة الأكبر التى طفت على السطح فجأة و كانت السبب الأهم الذى دفعه للجوء للطبيب .. هى تلك النوبات العصبية اللعينة التى بدأت تهاجمه بلا رحمة فى الفترة الأخيرة ..

أعتدلت فى مقعدى بأهتمام عندما وصل إلى هذا الحد .. سألته عن نوع النوبات .. أخبرنى أنها نوبات بفقد فيها السيطرة على نفسه .. بمجرد أن يتعرض لموقف أو مثير يذكره بالحادث حتى يصاب بتلك الحالة .. يحس بخدر فى أطرافه و عدم قدرة على الحركة .. يشعر بدوار شديد و تخفت الأصوات من حوله تدريجياً .. يصيب جسده شلل مؤقت و يغيب فى عالم آخر رغم أنه لا يفقد وعيه .. يضيق صدره كما لو أن شيئاً ثقيلاً يجثم فوقه فجأة .. تستمر هذه الحالة لفترة من الوقت ثم يبدأ جسده فى الأسترخاء تدريجياً و يعود لحالته الطبيعية و لكن مرهقاً تماماً .. المشكلة أن النوبات كانت تنتابه على فترات متباعدة و لكنها زادت فى الفترة الأخيرة حتى أنها هاجمته مرتان أثناء العمل و هو ما لا يريده أن يتكرر .. عمله حساس لا يقبل الخطأ و أقل هفوة فيه قد تقضى على مستقبله .. فى المرتان أنقذه مساعده و أخفى الأمر ببراعة .. و لكنه يعمل الآن مع مساعد أقل خبرة و براعة و ربما يتسبب الأمر بكارثة

لم أسأله بالطبع عن طبيعة عمله الحساس لأنى أعلم مقدماً أنه سيخفى ذلك .. أنهيت الجلسة عند هذا الحد بعد أن رأيت أن حالته لا تسمح بمزيد من الكلام .. وصفت له بعض الأدوية المهدئة و طلبت منه تحديد جلسة ثانية .. أنطباعى الأول الذى خرجت به أنه مصاب بأزمة فزع تنتابه عندما يتعرض لمثير قوى يذكره بالحادثة .. ربما يعتبر نفسه مسئولاً عن تلك

المأساة التى تعرض لها ، و لم يتخلص بعد من عقدة الذنب حيالها .. على العموم ستوضح الجلسات اللاحقة كل تلك الأمور بشكل أفضل

فى الجلسة التالية تكلم عن الحادثة أكثر .. سبب الأزمة التى يمر بها .. أطلعنى على كافة ملابساتها بالتفصيل .. علمت أنه كان فى طريقه لقضاء أمسية لطيفة مع عدد من أصدقائه فى أحد الأستراحات على الطريق السريع .. لم يكن فى حالته الطبيعية بعد أن دخن كثيراً ، بالأضافه إلى أنه لم ينم جيداً فى الليلة التى سبقتها .. أختل توازن السيارة و هو ينطلق بسرعة عالية أعتادها مع أصدقائه فأنقلبت السيارة عدة مرات و حادت عن الطريق و لم يوقفها سوى رمال الصحراء التى خففت زحف السيارة على الأرض .. مات أحد أصدقائه على الفورو أصيب الآخرون بأصابات متنوعة و لكن الغريب أن أصابته لم تكن جسيمه .. كيس الهواء المصمم لحماية السائق فى سيارته الحديثة بالأضافة إلى حرصه على أرتداء حزام الأمان دائماً أنقذ حياته .. عند الأنتهاء من كلامه كان العرق الغزير يغطى جبهته رغم برودة الجو .. لاحظت أنه يتنفس بصعوبة و يطبق بيده على مسند الكرسى بقوة .. أدركت أن حالته لا تسمح بموصلة الجلسة فأنهيتها للتو .. طلبت منه أجراء عدة تحاليل طبية تمهيداً لكتابة بعض الأدوية المهدئة قوية المفعول له .. و حتى أتأكد أن أزمة الفزع التى يمر بها ليس لها سبب عضوى ناجم عن الحادثة

لقائنا التالى أحضرمعه نتائج التحليل التى جاءت سلبية .. واصل كلامه و لكن تلك المرة عن عمله .. لم أخرج بصورة واضحة عن طبيعته و لكنى عرفت أنه عمل حساس يوفر له مكانة أجتماعية مرموقة .. و دخلاً محترماً يجعله يخشى أن يفقده بسبب تلك النوبات .. كما أنه يحب عمله و تميز فيه رغم صغر سنه .. تكلم قليلاً عن علاقاته النسائية و بعض الأمور الأخرى الثانوية التى لا تفيدنى فى تشخيص حالته و لكنى أستمعت له بسعة صدر .. فى نهاية الجلسة طلبت منه أن يصف لى مرة أخرى بشكل أكثر وضوحاً الأعراض التى يشعر بها بعد الحادثة .. بالأضافة إلى الأعراض التى سبق و أن وصفها .. أبلغنى أنه يعانى قليلاً من أضطرابات فى النوم .. صعوبات فى التركيز و التذكر .. أحساس عام بالتعب و الأجهاد لأقل مجهود يبذله .. أخبرنى بخجل بفقدانه الرغبة فى النساء و هو الذى أشتهر بعلاقاته المتعددة .. كنت أعلم أنه يمر بطور خفيف من الأكتئاب و تأكدت الآن من ظنونى من الأعراض المتنوعة التى ذكرها .. كتبت له مجموعة من الأدوية و طلبت منه تناولها بحذر .. مجرد مجموعة من الأدوية المهدئة و بعض مضادات الأكتئاب المفيدة فى حالته .. نصحته أيضاً بأن يحصل على أجازة و لكنه رفض الفكرة فوراً خاصة أنه سبق له الحصول على أجازة طويلة عند تعرضه للحادث و يخشى أن يثير الشكوك من حوله بطلبه أجازة ثانية سريعة لا يستطيع الأفصاح عن مبرراتها

فى الجلسة التالية كان أشد تماسكاً و أكثر هدوءاً .. وضح التأثير المؤقت للأدوية عليه .. تكلم عن صديقه الذى مات فى حادثة السيارة .. و عن علاقة الصداقة الطويلة التى جمعت بينهما .. قص على الكثير من نوادر هذه العلاقة .. ثم سكت طويلاً .. أدركت وقتها أنه يعانى من أحساس بالذنب لم يتخلص منه و يمنعه من مواصلة الكلام .. كنت أرغب أن يتكلم أكثر فى هذا الموضوع و يلقى عليه مزيد من الضوء ليتخلص من أنفعالاته المكبوتة و لكنه واصل الصمت .. لم أشأ أن أضغط عليه .. بعد فترة عاد للتحدث مرة أخرى عن عمله و فخره للمكانة التى وصل إليها رغم صغر سنه .. و الأهم ، تحدث عن خوفه من أن تنتشر أخبار مرضه لتصل إلى رؤسائه .. حاولت طمأنته بأن علاقة المريض بالطبيب النفسى لا يسمح لأحد بالأطلاع عليها ، و لكن ظلت نظرات القلق واضحة فى عينيه ..

فى جلستنا اللاحقة خرج الأمر قليلاً عن المألوف .. جاء ثائر الأعصاب بشدة و متوتراً بدرجة كبيرة .. لم أره فى هذه الحالة من قبل .. أستغرق الأمر وقتاً ليهدأ و يشرح لى سبب توتره .. أحد زملائه ممن يقطنون فى منطقة قريبة رآه و هو يتوجه نحو العمارة التى تشغل العيادة أحد وحداتها .. أضطر لأن يكذب عليه و يخبره أنه جاء لزيارة صديق يسكن فى نفس البناية .. لم يبدو على صديقه الأقتناع بكلامه و سأله عن أسم الصديق فهو يعرف معظم قاطنى هذه المنطقة و لكنه تهرب منه .. المشكلة أن البناية لا

توجد بها سوى عيادة واحدة و هى عيادتى و لو كان بها عيادات أخرى لأدعى الذهاب إلى أى منها بسبب ألم جسدى طارئ يعانى منه .. حاولت أن أوضح له أن العلاج النفسى ليس عيباً حتى أن كثير من رؤساء العالم و المشاهير خضعوا له و أعترفوا بتلقائية بتلقيهم للعلاج النفسى و هم أكثر حاجة من أى شخص للحفاظ على صورتهم المثالية لدى الناس .. و لكنه لم يبدو مقتنعاً بكلامى .. لم أفلح فى تهدئته حتى أنه لم يستكمل الجلسة و أنهاها سريعاً بعد أن نصحته بالمواظبة على تناول الأدوية

فى موعدنا التالى لم يحضر .. و لم يظهر فى الأسابيع القليلة التى تلتها .. كما أنه لم يتصل ليعتذر .. أدركت أن خوفه على سمعته دفعه للهروب من العلاج .. أو ربما فضل العلاج عند طبيب آخر تشغل عيادته مكاناً بعيداً أو لا يثير الشبهة عند التردد عليه مما يقلل من فرص أنكشاف أمره .. تمنيت حقاً أن يستكمل علاجه فحالته تحتاج لكثير من المتابعة و الأهتمام.. و الادوية التى كتبتها له لن تعالج المرض و لكنها فقط تخفف شدته و تقلل من أعراضه التى ستعاود الظهور بقوة بمجرد التوقف عنها .. و خشيت أن يعتمد عليها فقط و يهمل العلاج السلوكى و النفسى و هو الأهم .. بعد فترة بدأت أنسى الأمر أو أتناساه .. واصلت التركيز مع حالاتى و أنشغلت بالعمل

بعد مرور فترة وجيزة تلقيت دعوة للسفر للخارج لحضور مؤتمر علمى

.. فرصة جيدة لتبادل الخبرات و الأطلاع على آخر التطورات فى مجال تخصصى .. قضت وقتاً طويلاً قبل السفر لأعداد بحث ألقيه فى المؤتمر .. فى يوم السفر توجهت للمطار فجراً للحاق بموعد الطائرة .. أنهيت أجراءات سفرى و صعدت على متنها .. جاء مقعدى بجوار نافذة فألقيت نظرة إلى الخارج و أنشغلت برؤية المطر الذى بدأ ينهمر .. أقلعت الطائرة أخيراً بعد تأخر طفيف .. دائماً أخاف من ركوب الطائرات و لكنى أنجح فى التغلب على هذا الخوف بطرق عديدة درستها .. بعد فترة قررت أن أراجع بحثى .. أرتديت نظارتى و بدأت فى مراجعة الأوراق بتركيز .. شعرت بعينى تؤلمنى فتوقفت عن القراءة و تطلعت من النافذة إلى المحيط الواسع من تحتنا و قد بدأنا نحلق فوقه فى تلك اللحظة .. شردت بخيالى قبل أن يقاطعنى صوت هرولة أحد المضيفات .. علمت أن أحد المسافرين أنتابته غيبوبة سكر .. كنت أدرك بحكم كثرة سفرياتى أن الطائرة مزودة بحقن الأنسولين تحسباً لتلك الحالات الطارئة فلم يساورنى القلق مثل باقى الركاب على حياة المريض و إن كان الأمر يستدعى حضور الطيار .. فربما تتطلب الحالة هبوط الطائرة فى أقرب مطار أو العودة لأسعاف المصاب فوراً .. بعد دقائق هدأت الأمور و وضح أن الحالة تم السيطرة عليها .. أسترخيت قليلاً ثم عاودت القراءة و أنشغلت تماماً فى أوراق البحث قبل أن يتناهى فجأة إلى سمعى صوت مميز .. صوت مألوف لم أتعرف عليه فى الحال .. رفعت

عينى عن الأوراق و تطلعت للأمام .. هناك كان يقف رجل فى منتصف الممر يرحب بلهجة لطيفة بركاب الطائرة و يطمئنهم بنفسه على صحة المسافر المصاب .. بمجردت أن وقعت عينى عليه حتى تعرفت عليه فوراً .. و يبدو أنه تعرف على أيضاً لأنى لاحظت أرتعاشة خفيفة فى يديه .. واصل كلامه لثوان و لكن تهدج صوته قليلاً ..مع مواصلة حديثه لاحظت أنه بدأ يتنفس بصعوبة و قطرات من العرق تعرف طريقها إلى جبهته .. ثم أستند على مسند أحد الكراسي بعد أن كان يقف بثبات .. أغمضت عينى فى أحباط .. لم يكن من المناسب أن يرانى .. أو تقع عينه على أبداً

كان هو بلا شك .. مريضى السابق .. المريض الذى هرب دون أن يكمل علاجه .. يقف أمامى متماسكاً بصعوبة الآن مرتدياً زى الطيار و هو يحاول طمأنه المسافرين .. تبدو عليه بوادر الأزمة بعد أن رآنى .. مثير قوى يذكره بالحادثة .. لم يكن فى استطاعتى أيقاف النوبة التى أرى بوضوح بداية أعراضها تجتاحه .. هززت رأسى فى أسى .. بلا وعى أبعدت وجهى عنه تجاه النافذة .. حيث تراءى أمام عينى على الفور اللون الأزرق المميز للمحيط الشاسع الذى تحلق الطائرة فوقه ..

المغناطيس

كنا زميلين في العمل .. و لكن العلاقة بيننا عابرة ، و ظلت كذلك لفترة طويلة .. لا أعلم كيف أنجذبت إليها .. ربما بسبب نظراتها الغامضة .. أبتسامتها الشاحبة .. مرحها الدائم الذى كان يبدو لى ، على عكس الناس ، قناع يخفى وراءه حزن عميق .. كل ذلك دفعنى لأن أقترب منها .. كانت تتمتع بشخصية جذابة حقاً و خفة ظل بلا تكلف ، دائمة الأبتسام ، تستطيع أن تنجز أى عمل صعب بأبتسامتها السحرية .. تلقائية دوماً و مرحها من النوع المحبب للنفس دون أبتذال أو تجاوز .. و لهذا لم يكن غريباً أن تحظى بشعبية بيننا فى العمل لا تضاهى .. و لكن .. ظل هناك شئ لم يلحظه كل من حولها .. تلك اللحظات الخاصة التى تجلس فيها بمفردها فتختفى شخصيتها المرحة عندما تتأكد أن لا أحد يراقبها .. يغمر حزن واضح وجهها الفاتن .. يطل من عينيها أسى عميق .. لحظات و سرعان ما تتدارك نفسها .. تعود إلى طبيعتها أو تحاول ذلك .. ربما كل ذلك دفعنى لأبحث عن فرصة لمعرفتها أكثر .. و ربما لسبب آخر .. و هو أننى كنت سراً أحد المعجبين بها

و فى يوم واتتنى الفرصة التى طالما ترقبتها .. أعلنت أحد الزميلات عن

رحلة تعتزم المؤسسة القيام بها .. و تحمست عندما رأيتها تشترك بها تحت ألحاح الزملاء .. سارعت بالأشتراك أيضاً لعلى أحظى بفرصة أكبر للتعرف عليها .. و فى موعد الرحلة حرصت على الذهاب مبكراً .. مر الوقت و نحن ننتظر داخل الحافلة و لكنها تأخرت .. بدأ القلق يتسرب إلى .. مرت الدقائق سريعاً ليعلن السائق أنه لا بد من الأنطلاق .. بدأنا التحرك بالفعل بينما غبت فى عالم آخر .. و فجأة صاحت أحد الزميلات .. ألتفتنا إلى حيث تشير حيث لمحناها تأتى من بعيد مهرولة تحاول اللحاق بنا .. صحنا بالسائق كى يتوقف .. و سرعان ما لحقت بالحافلة و هى تلهث و قد ردت إلى روحى .. كانت تضحك و تعتذر للكل .. دارت بعينها فى المكان و لكن لم يكن هناك سوى مقعد فارغ فقط بجانبى .. و بدون تردد وجدتها تستأذن فى الجلوس بجوارى

لم أصدق نفسى .. كان هذا أكثر مما كنت أتمناه .. و سرعان ما تنحيت جانياً .. و تبادلت معها الحديث طوال الرحلة .. و أندمجت معها فى الكلام و قد نسيت كل ما حولى .. و رغم قصر مدة الذهاب .. إلا أنها كانت أسعد لحظات حياتى .. و عندما بلغنا الهرم – أول مكان فى رحلتنا – قلت لها و نحن نغادر : أنت أذكى أنسانة قابلتها فى حياتى .. و لم تكن مجاملة .. و على غير المتوقع شحب وجهها قليلاً .. و ردت بأبتسامة باهتة .." صدقنى .. العكس هو الصحيح تماماً ".. أندهشت و لم أعقب

لم أستطع أن ألتقى معهـا بـاقى الرحلـة .. كانـت تنتقـل مـن مجموعـة لأخرى كالفراشة .. تثير المرح فى كل مكان تذهب إليه .. و مر وقت الرحلة سريعاً .. و أنتهى بنا الأمر إلى باخرة سياحية فى النيل قبل الغروب .. كان أخر مكان فى رحلتنا .. و جاءت فى وقت مناسب بعـد يـوم مـن الحركـة و النشاط حيث حل الأرهاق بـالجميع فكانـت فرصـة للأسترخاء قليلاً وسط النيل و الغروب .. و بمجرد أن صعدنا على سطح الباخرة حتى درت بعينى فى المكان أبحث عنها .. و لكن منظر غروب الشمس جذبنى .. أسندت يدى إلى السياج و تطلعت إلى قرص الشمس الأحمر و هو يحتضن النيل .. و عندما أفقت وجدتها بجانبى .. أزداد خفقان قلبى .. قلت لهـا : منظـر جميـل .. مدت يدها إلى وجهها .. يبدو لتمسح دمعة لم أتبينهـا جيـداً فـى الظـلام .. أشارت إلى مجموعة من زملائنا يفترشون سطح الباخرة فـى دائـرة .. قالـت بسرعة : دعنا نجلس معهم . أنضمت سريعاً للمجموعة و جلست مقابلها .. كان الجميع فى حالة أسترخاء .. و فجأة طرح أحدهم سؤالاً عابراً عن أغرب شئ سمعوه فى حياتهم .. تحمس البعض للأجابة .. و بدأ كل واحد يحكى عن أغرب قصة عايشها أو رآها .. كانت بعض القـصص طريفـة ، و الـبعض الآخر غريب حقاً .. و قد حرصـت هـى و مجموعـة مـن الـزملاء علـى عـدم المشاركة و أكتفت بتعليقات قصيرة عقب كل قصة .. لاحظت أنهـا لم تبـدى دهشة على أى قصة سمعتها على عكس الآخرين .. و يبدو أن البعض لاحـظ

ذلك أيضاً مما دفع أحدهم لسؤالها بفضول : ألم تثيرك أى قصة منهم .. قالت بهدوء : كلها جميلة و لكنها ليست الأغرب .. ساد السكون بيننا للحظات .. كان قرص الشمس قد أختفى و لم يتبقى سوء ضوء خافت .. لم أستطع أن أتبين ملامح وجهها جيداً .. و فجأة طرحت عليها أحد الزميلات : لما لا تحكى لنا أغرب قصة مرت بك فى حياتك .. و لم ترد .. و تحمس الجميع للأقتراح و بدأوا يلحون عليها .. كانت تتمنع و تعتذر و لكنهم أستمروا بالضغط عليها .. سكتت قليلاً .. أبتسمت فى أستسلام ثم قالت : حسناً .. سأحكى لكم عن قصة أغبى أمرأة قابلتها فى حياتى ، و هى قصة حقيقية لا أحب أن أحكيها كثيراً . سكتت لبرهه ، تنفست بعمق .. سرحت قليلاً .. ثم بدأت تحكى بصوت هادئ لا يخلو من نبرة حزن :

كانت أعرفها زوجة جميلة تحب زوجها بجنون .. و كان يعشقها بجنون أكبر .. يشتاق إليها و هى إلى جواره .. تحصى الدقائق و كسور اللحظات لموعد عودته إن غاب عنها .. أندمجا فلم يعد يشعر أى منهما أنه كامل إلا بوجود صاحبه .. كانت لا تتصور حياتها بدونه .. و كان يشعر أنه يفارق روحه عندما يغادرها .. و حلقاً معا فى سماء بعيداً عن أرض قد لا تتسع لعشقهما

سكتت قليلاً .. أقتربت أكثر فيما تطلعت إليها العيون بلهفة و هى تكمل :

في يوم عاد الزوج لمنزله و بيده خطاب .. قبل زوجته بحب كالعادة .. سألته بلهفة عما بيده فأخبرها و هو يكاد يطير فرحاً أنه من أخيه يوسف ، المهاجر في الخارج من مدة طويلة .. أخيه الوحيد الذى لم تره من قبل ، و إن حكى لها الكثير عنه .. سافر إلى الخارج لينهى دراسته الجامعية .. جذبته الحياة فأستقر لعدة سنوات هناك بعد تخرجه عمل خلالها كمهندس فى أحد الشركات الكبرى .. علمت أنه سيصل أخيراً بعد يومان .. شاركته فرحته بالطبع .. بعد برهة ظهر بعض القلق على وجهه .. ألتفت إليها قائلاً بتردد : " تعلمين أن يوسف لا أحد له فى الدنيا سواى بعد وفاة والدتنا .. و أرغب أن يمكث معنا هنا .. لفترة قصيرة فقط حتى يستقر ".. كادت أن تعترض و لكنها أمام توسله لم تستطع إلا أن توافق .. و أن كان هناك شئ بداخلها أقلقها من الأمر .. و فى الليل لم يطاوعها النوم .. لأول مرة يراودها شعورغريب بعدم الطمأنينة لا تدرى مصدره .. فى اليوم المحدد أعدت المنزل ليكون لائقاً بأستقبال الزائر الجديد .. لم تدخر أى جهد ليبدو المكان فى أبهى صورة .. بينما توجه زوجها للمطار لأستقبال أخيه .. ما أن عاد و سمعت طرقته المميزة على الباب حتى أسرعت لأستقباله .. رحبت بضيفها بحرارة .. و تطلعت إليه بفضول .. و للوهلة الأولى داهمها شعور بعدم الأرتياح تجاهه .. كان وسيماً حقاً كما كان يحكى زوجها و لكنه بدا غريباً فى مظهره و تصرفاته .. ذلك الشعر الطويل المموج

.. الملاس الضيقة .. السلسلة التى تتدلى من رقبتـه .. تلـك النظـرة المغـرورة التى ترتسم على وجهـه .. نبات غريب لم تعد تربطه جذور بالحياة هنـا .. و سرعان ما أدركت أنها لن تتفق معه .. و أنها أمام شخص ينتمـى إلى عـالم آخر لم تألفه .. و عندما سألته بترحاب عن صحته .. أجابها بلكنة أجنبية لم تفهمها فى البداية فأكد ظنونها .. دعاه أخـاه بـسرعة لمشاهدة المنـزل .. تفحص ديكورات البيت بلا مبالاة قبل أن يعلق ببـساطة : ليـست سـيئة .. ذوق قديم و لكن مع بعـض التحـسينات ستـصبح أفـضل . أدهـشها كلامـه و ضايقها أن يصف أحد منزلها الذى تحرص عليه كل الحرص بسلبية شديدة ، و ينتقد ذوقها علانية .. و لكن ما أدهـشها حقـاً هـو رد زوجهـا عليـه : سنقوم بأى تغييرات تراها ضرورية بالطبع . لم تـستطع أن تـتكلم ، كتمـت غيظها و أتجهت لأعداد الطعام

لم يجلس زوجها بجوارها على المائدة كالعادة .. جلس بجوار أخيـه .. سألته عن رأيه فى الطعام ، رد بـلا أكـتراث : ملـئ بالـدهون .. أكـل غـير صحى بالمرة كما أنى لاحظت أنك أكثرت من الملح على الطعام . أدهـشها أنـه لم يحاول حتى أن يجاملها .. لم تبدى أمتعاضها .. يبـدو أنـه يفتقـد أبـسط قواعد الذوق .. تطلعت لزوجها قائلة بهدوء : و لكن أخيك هو من يطلـب و يفضل الطعام على هذا النحو .. تطلعت لزوجها الذى تلعثم قليلاً قبل أن يرد : حسناً .. يمكننا أن نقلل الملح فيما بعد .. ذلك صحياً يبـدو أفـضل . كانـت

تشعر من الوهلة الأولى أن زوجها يحاول أن يرضى أخيه بكل شكل .. و لكن ليس لتلك الدرجة

في المساء .. لم يجلس معها كعادته .. كانا يعتادان الخروج لقضاء سهرة لطيفة .. أو السهر في البيت .. يتناجيان .. يتهامسان .. يضحكان .. و لكنه ظل طوال الوقت مع أخيه .. يسأله عن كل شئ مر به في الخارج .. و بدأت ترى بوضوح نظرات الأعجاب تطل من عيني زوجها لكل شئ يسمعه من أخيه .. تراه مبهوراً بما يحكيه عن حياته هناك .. عن حريته و جرأته .. عن تجاربه و مغامراته .. ضايقها الأمر .. و عندما غادرتهما لترد على مكالمة أحد صديقاتها . عادت لتتفاجئ بهما يتكلمان عنها .. سمعته يقول لزوجها : أنها جميلة حقاً و لكن .. سكت بمجرد دخولها .. ودت لو تعرف ما كان سيقول عنها لو لم تقاطعهم ، خاصة أن كلمة لكن تحمل بعدها دوماً نقداً ، و إن أرضى غرورها قليلاً أن يصفها بأنها جميلة

و مر يومان .. لم يختلفا عن سابقهما .. أستمر زوجها بالأتصاق بأخيه الذى يهوى القيام بأشياءغريبة لم تعتادها و كأنه يستفزها .. بدأ يزعجها حقاً بتصرفاته .. تلك الأغاني الصاخبة التي يحب أن يسمعها بصوت عال .. تدخينه بشراهه .. الأريكة التي يجلس عليها ممدداً و هو يتناول الطعام .. السهر حتى الصباح .. حديثه المتواصل الذى لا يخلو من كلمات أجنبية لا تفهمها .. و لكن ما ضايقها حقاً .. محاولته لتغيير ديكور المنزل حتى

يتلائم مع ذوقه .. و بالطبع رفضت ذلك .. و أتخذ زوجها موقفاً سلبياً .. و شعرت أنها وحيدة فى منزلها .. حتى الخادمة تطهو له الطعام الذى يحبه .. أو يشترى الطعام جاهزاً .. لم يعد زوجها يتلهف للطعام الذى تطهوه كما أعتاد .. حاولت أن تسترجع زوجها و لكنه كان يذكرها دائماً : لا تنسى أنه أخي الوحيد .. و ضيفنا .. يجب أن نرضيه بقدر الأمكان طوال الفترة المحدودة التى يقضيها معنا . و تحولت حياتها إلى فوضى .. تحملت .. و كبتت ثورتها .. طالت اليومين لتصبح ثلاثاً .. ثم أسبوعاً فأثنان .. و كانت على وشك الأنفجار بالفعل .. بادرته فى أحد المرات سائلة بلطف مصطنع و بشكل مباشر : هل تنوى الأستقرار معنا ؟ أجابها ببساطة : تعلمين أنى أبحث عن عروس تشاركنى حياتى .. و قد أبتعت بالفعل شقة فى مكان متميز مؤخراً و أنوى أن أستقر بها فور أن أجد العروس المناسبة ، و لولا أنى لا أحب أن أعيش بمفردى لأنتقلت إلى هناك على الفور . عضت على أسنانها بغيظ و هى تستمتع لأجابته .. و كتمت بصعوبة أمتعاضها و مصارحته بمشاعرها تجاهه

ضايقها أن تظل فترة أقامته المزعجة معهم مفتوحة .. و أن شعرت ببعض الأرتياح لتأكدها أنه سيرحل بمجرد أن يجد العروس المناسبة .. و لكن من هى العروس المناسبة له ؟

شغل ذهنها السؤال كثيراً .. شخص مثله ينتمى بتفكيره و تصرفاته إلى

مجتمع غربى يتمتـع بحريـة مجنونـة .. مـا شـكل فتـاة أحلامـه .. و أيـن سيتجه بتفكيره عندما يبحث عنها .. مرت الأيام ببطء ، فكرت جـدياً فـى مساعدته ، و لكنها ندمت على أتخاذها تلـك الخطـوة لاحقـاً .. كـل فـترة ترشح له فتاة ما تراها مناسبة .. و كل مرة يرفـضها بـأدب .. و بـاءت كـل محاولاتها بالفشل بالرغم مما بذلته من جهد .. و كلما بـادرت بـسؤاله عـن سبب الرفض يهز كتفيه بلا أكتراث قائلاً : ظريفة .. و لكنهـا ليـست تلـك التى فى خيالى . و عندما فاض بها الكيل ، تجرأت ذات يوم و سألته : مـن هى تلك الفتاة التى فى خيالك تحديـداً ؟ .. صـمت وقتـاً غـير قـصير .. ثـم أجاب بإيجاز لم يشفى غليلها : تلك التى تكمل شخصيتى . و تساءلت ماذا يعنى بكلامه .. كانت تراه بالتأكيد شخصية سطحية تافهة .. يعيش حياته بأنانية .. بلا مبالاة .. هل يطمح فى أمـرأة مثلـه تـستطيع أن تتعـايش مـع شخصيته .

أسبوع وراء أسبوع يمضى .. و مر شهران بلا جديـد .. و زوجهـا يزيـد أبتعاداً عنها .. و فى يوم توجهت مع أحد صديقاتها للنـادى للتنفيـث عما بها بعيداً عن المنزل الذى بدأت تشعر فيه لأول مرة بعدم الراحة .. و هناك قابلت هند .. أخت أحدى زميلاتها .. تعرفها من فترة قصيرة فقـط .. فتـاة متحررة .. جريئة إلى أقصى حد .. عنيدة جداً .. و تتمتع بشخصية مستقلة .. سافرت مع والدها فى سن صغيرة و درست فى الخارج لفترة طويلـة .. و

عندما عادت كانت أكثر تحرراً .. و هنا خطرت لها فكرة لا تعلم كيف شقت طريقها إلى عقلها بسهولة .. لما لا تجمع بين محسن و هند .. ربما تكون هى تحديداً من يبحث عنها .. شخصية كل منهما تكاد تكون متشابهه فى كثير من الجوانب .. و كلاهما يتبنى نفس الأفكار .. و الأمر لن يحتاج منها سوى لتمهيد لائق

تحمست للفكرة .. و سرعان ما بدأت تحاول أن تتعرف على هند أكثر .. بذلت جهداً كبيراً كى تكتسب ثقتها و صداقتها .. و عندما نجحت فى كسب ودها ، قررت أن تمهد للموضوع .. فى اليوم التالى على العشاء تكلمت بشكل بدا عفوياً عن زميلتها ، و عن أختها هند .. تحدثت عنها بشكل يثير الأعجاب .. عن ذكائها و لطفها .. عن جرأتها و لباقتها .. عن الوجة الجميل المتمرد ، و الروح المتحفزة .. شعرت أن خطتها فى طريقها للنجاح عندما لاحظت خفية عينى شقيق زوجها تلمعان و هو يتابع حديثها بأهتمام .. نجحت بالفعل أن تلفت أنتباهه .. تعرفه جيداً .. سيرفض بالتأكيد أى محاولات لفرض فتاة عليه بالطرق التقليدية كما فعل مسبقاً .. و لكن ربما بتلك الطريقة تنجح فى أن تثير أهتمامه و تجعله يتلهف لرؤيتها

و قررت أن تقيم حفلاً فى بيتها بعد عدة أيام .. أنتهزت فرصة عيد ميلاد زوجها .. و كان أول من دعته صديقتها هند و أختها .. فى اليوم المحدد بدأ توافد المدعون .. ظلت تراقب خلسة شقيق زوجها .. رأت ملامح

القلق تبدو على وجهه بوضوح و هو يصوب نظراته نحو الباب الخارجى من حين لآخر .. و أبتسمت لنفسها بثقة .. و عندما وصلت هند حاولت أن ترى أنطباعه و لكنه كان قد أختفى .. ضايقها الأمر قليلاً .. أسرعت لأستقبالها بحفاوة و أنضم إليها زوجها .. غادرتهم و ذهبت للبحث عنه .. كان يحادث شخصاً آخر .. دعته للتعرف على صديقتها و أختها .. أستقبلهم بهدوء .. تبادل كلمات قليلة مع أخت صديقتها .. لحظات و سرعان ما أندمجا فى الكلام .. أنسحبت بهدوء و لكنها ظلت ترمقهما بأهتمام و هما يتبادلان الحديث و يضحكان .. رقص قلبها من الطرب .. و لم يضايقها سوى أنضمام زوجها إليهم بعد فترة لتبادل الحديث .. كانت تريد أن تتركهما بمفردهما .. و إن أطمئنت أن خطتها فى طريقها للنجاح

فى الصباح خرج يوسف مبكراً .. سألته عن المكان الذى يقصده .. أخبرها أنه متوجه للنادى .. لم يعتاد الذهاب لهناك من قبل .. خمنت أنه سيكون معها .. أعدت الأفطار .. سألت زوجها عن رأيه فى الحفلة .. تطرق حديثهما إلى هند .. أثنى عليها بحماس .. ثم أعقب قائلاً : تبدو كطراز مختلف من النساء لا يمكن لأى رجل أن يراها دون أن يعجب بها .. يوسف يقول أنها تشبهه كثيراً .. يفكران بطريقة متشابهه و يتفقان فى كثير من الآراء . كان هذا بالتأكيد أفضل ما سمعته من مدة .. قررت أن تمضى قدماً فى أنجاح مخططها .. حرصت على أن تدعو هند كثيراً فى بيتها .. لا تترك

فرصة إلا و تثنى عليها .. لم تعد تذهب للنادى مع زوجها و أخيه .. تترك الفرصة ليوسف للتعرف عليها هناك أكثر .. أرادت للموضوع أن ينتهى قريباً و تمنت ذلك فزوجها بدأ يتغير كثيراً كما لاحظت .. يبتعد عنها .. يعبر عن أرائه دون أعتبار لأحد .. لم يعد يجاملها كالسابق .. كما أنه يخرج كثيراً و يسهر لأوقات متأخرة ..

و مرت الأيام سريعاً .. و بدأ كل شئ يسير بنجاح لم تتوقعه .. كانت تعلم من زوجها أن شقيقه يقابل هند كثيراً فى النادى .. و عندما جاءها شقيق زوجها ذات يوم ليزف إليها خبر عثوره على فتاة أحلامه .. لم تتفاجئ و لم تسأل عن أسمها .. أخبرها بحماس شديد لم تعهده فيه من قبل أنه حدد موعد للقاء أهلها .. سألها مازحاً : لما لا تريدين معرفة أسمها و أنت صاحبة الفضل فى لقائى بها . أبتسمت بثقة دون أن ترد . فى المساء أنتهزت الفرصة ، قالت لزوجها بدلال : ما رأيك أن نخرج الليلة للأحتفال بهذه المناسبة .. هز رأسه ، همس لها محاولاً تصنع أبتسامة : أنا مرتبط اليوم بميعاد هام لا يمكن تأجيله .. و سأعوضك لاحقاً . هزت كتفيها فى أسف و قبل أن يخرج مال فطبع قبلة على خدها .. قبلة باردة بلا حرارة لأول مرة لا تشعر بها .. و بدأ شئ بداخلها يقلقها لا تعرف كنهه .. بدأت تراجع حياتها قليلاً .. تأثر زوجها فى الفترة الأخيرة كثيراً بأخيه .. يتكلم مثله .. يرتدى مثله .. يعتنق نفس أفكاره .. و لكنها طمأنت نفسها

أن لكل شئ نهاية .. سيرحل شقيقه إلى منزله الجديد عما قريب كما تأمل .. و سيعود زوجها إليها كما كان .. و يمكن وقتها أن تستعيد حياتها الهادئة السابقة

في اليوم المحدد أرتدت أجمل ملابسها .. قال لها زوجها مازحاً : العروس ستكون مفاجأة لك .. أبتسمت ولم ترد .. سبقها إلى الباب .. أغلقته و أتجهت مباشرة إلى المصعد .. سحب زوجها يدها و هو يقول ضاحكاً : لا داعي للمصعد .. سألته بدهشة : هل هو معطل؟ رد عليها : لا .. و لكننا لن نحتاج إليه ، لن نذهب بعيداً على أى حال . لم تفهم ما يعنيه .. أسرع و أخيه بأرتقاء الدرج .. تبعتهما بلا وعي .. في الطابق الأعلى توقفا أمام شقة .. شقة جارتهم .. زادت الدهشة بداخلها .. أستقبلتهم جارتهم بالترحاب الشديد .. قبلتها و هي تدلف للداخل ذاهلة .. لم تعي أى شئ مما يدور حولها .. تم كل شئ بسرعة أفقدتها توازنها .. لم تفق إلا على صوت زغرودة تنطلق من البيت .. غطت أذنيها بيديها .. شعرت أن رأسها سينفجر .. تلك إذن هي المفاجأة .. العروس بنت جارتهم .. الآن فقط بدأت تستوعب كل شئ .. هدى بنت جارتها .. هي من عرفتها عليه .. دعتها إلى حفلة عيد ميلاد زوجها من باب المجاملة .. لم تتعامل معها كثيراً .. خجولة .. متدينة .. تتكلم برقة و تضحك بحساب .. من أسرة محافظة .. تحافظ على مظهرها الجميل بلا تكلف .. ذكية و أفكارها جريئة .. لهذه

الصفات لم ترشحها له من قبل .. صحيح أن الفكرة واتتها من قبـل و لكنهـا كانت تعلم أنه سيرفـضها .. كلاهمـا علـى النقـيض تمامـاً .. هـزت رأسـها بعنف .. كيف ينجذب الـضدان كقطـع المغنـاطيس .. بـدأت تفهـم الآن سـر ذهابه المتكـرر إلى النـادى ، هـدى تتطـوع هنـاك فـى العديـد مـن الأنـشطة الأجتماعية .. سر نظراته المتلهفة وقت الحفلة ، كانت هى مـن ينتظرهـا ، ربما رآها من قبل و أنتهز فرصة الحفل للتعرف أكثر عليها .. سـر حرصـه على الصلاة بأنتظام و أقلاعه عن التدخين فى الفـترة الأخـيرة ، يبـدو أنهـا نجحت فى التأثير عليه .. و أنفجرت الأسئلة فى رأسها .. أسئلة بلا أجابة .. عندما عادت للمنزل لم تستطع أن تمنع نفسها من سؤاله بمجـرد أن دلفـا للداخل : لماذا هى .. لما أخترتها بالذات ؟ سكت قليلاً قبل أن يقول : كنـت أبحث عن أمرأة تكمل شخصيتى .. أنا أعرف أننى متحرر .. جرئ .. كنت أريد أمرأة محافظة ، لديها القوة و الصبر ، تسيطر على تمردى و تقلل مـن أندفاعاتى .. أنا عنيد و هـى ذكيـة تـستطيع أن تقنعنـى دون تـصادم .. أنـا سريع الغضب و هى هادئة بطبعها تـستطيع أن تمـتص غـضبى و أنفعـالاتى العنيفة .. أمرأة أثق بها عندما تربى أبنائى و تشدنى إلى حياة الأسرة التـى بدأت أفتقدها .. سألته بلا وعى : و هند ؟ بدا على وجهـه الأندهاش لبرهه و لكنه أجاب سريعاً : هند مثلى تماماً .. قابلت فى الخارج كـثيرون مثلـها .. لم أعد أشعر بالأنجذاب نحوهم كما كان سـابقاً .. أفكارنـا ستتـصادم مـن

أول لحظة .. أنا أريد أمرأة مثل أمى .. تحتوينى و تعطينى أحساس الرجل الشرقى الذى أفتقدته فى الغربة .. تربى أولادى و تحافظ على بيتى و ليس أمرأة أصطدم بها و أعيش معها كأننا غرباء

عندما فكرت فى كل ما حدث .. أستعادت توازنها مرة أخرى .. رددت لنفسها بسخرية .. و بما يهمنى بمن يتزوج .. هدى أو هند أو أى فتاة أخرى .. ما دام سيرحل فى النهاية عن بيتى .. و طالما وصلت أخيراً لما أتمناه

و هنا سكتت زميلتنا .. مرت لحظة صمت على الجميع .. فاجأها أحدهم سائلاً : و ما وجه الغرابة هنا .. صحيح أن ما حدث غريب .. و لكنه ليس بالقدر الذى توقعناه . أرتفعت همهمات موافقة من الجميع .. أبتسمت قائلة : أنا لم أكمل قصتى بعد . ساد الصمت مرة أخرى .. أكملت بهدوء حزين : نعم .. تم كل شئ بسرعة كما أرادت تماماً .. تزوج يوسف و أنتقل إلى شقته .. و أصبحت هى و زوجها مرة أخرى لوحدهما أخيراً .. و لكنه لم يعد زوجها .. ما زال يخرج كثيراً .. يعود فى أوقات متأخرة .. نظراته بلا عاطفة .. كلامه بلا حرارة .. عندما ينام بجانبها لا تشعر بدفء جسمه .. لا يتكلم معها كثيراً كما أعتاد من قبل ، و لا يبادلها الأهتمام بشئون حياتهما .. و بدأ القلق القديم بداخلها يكبر و يستفحل .. و فى يوم بالمصادفة رأته يهبط من أحد البنايات و هى معه .. تتعلق بذراعه ..

يميل على أذنها فتنطلق ضحكاتهما .. تأكدت ظنونها .. أمرأة أخرى .. أتدرون من هى .. هند .. نعم .. تلك التى سمحت لها بدخول بيتها و فتحت لها الأبواب بنفسها .. لم تتمالك نفسها .. هجمت عليه .. دافع عنها .. ألقى عليها الصدمة ببرود بأنهما متزوجان من مدة .. لم تصدق .. عندما أحتواهما المنزل سألته شبه منهارة عن السبب .. أطرق إلى الأرض قليلاً قبل أن يواجهها : أنت السبب .. كلامك عنها أثار فضولى لمعرفتها .. طالما تحدثتى عنها بحماس كبير لا يملك معه أى رجل إلا أن يعجب بها .. لم أستطع المقاومة .. و عندما تعرفت عليها وجدت أنها أمرأة مختلفة .. أمرأة مميزة تثير الأعجاب و الرغبة بالتأكيد .. و كما قلت لك من قبل .. هى طراز مختلف من النساء لا يمكن للرجل مقاومته . و سكتت .. أدركت فقط فى تلك اللحظة أنها كانت حقاً السبب .. أن اللوم لا يقع إلا عليها .. و أن الخطأ كان من نصيبها وحدها .. و بالتالى العقاب .. حاولت أن تنقذ بيتها فهدمته .. هيئت الطريق لأمرأة أخرى لأن تشغل قلب زوجها .. أدركت أنها أغبى أمرأة فى العالم .. أمرأة سعت لتدمر حياتها بحماقتها

سكتت قليلاً .. تنهدت تنهيدة حارة .. ثم قالت : بالطبع كانت الصدمة قاسية عليها .. طلبت هند من زوجها أن يطلق زوجته الأولى ففعل .. كانت مسيطرة عليه بالكامل .. مر عليها وقت طويل بعدها و هى فى حالة صدمة .. تهذى و تكلم نفسها كثيراً .. تعاتبها بغضب .. أمسكوا بها يوماً و هى

تحاول أن تؤذى نفسها .. كانت على حافة الأنهيار .. و لكنها قررت بعد فترة أن لا تستسلم .. أسترجعت نفسها ببطء .. و تدريجياً بدأت تعود للحياة .. صحيح أن ما حدث ترك بها آثاراً لا تمحى .. و لكنها ضمدت جراحها .. و أستعادت نفسها مرة أخرى

أنتهت من قصتها .. ران الصمت على الجميع .. كانت الباخرة السياحية قد أقتربت من الشاطئ .. أفاق أفراد المجموعة على بوق السفينة و هو يعلن قرب الوصول .. بدأ البعض التحرك ببطء .. غادروا أماكنهم واحداً تلو الآخر .. توجهوا للطابق الأسفل لمغادرة السفينة و البعض ما زال يعلق على ما سمعه .. كان غريباً حقاً ما سمعته منها .. ظلت جالسة فى مكانها دون أن تتحرك .. تأكدت من أنصراف الجميع فنهضت ببطء .. توقفت للتطلع لبرهة إلى صفحة النيل .. كان الظلام سائداً إلا من ضوء النجوم .. لم يتبق سوانا على سطح السفينة .. و مجموعة أخرى من السياح على الجهة المقابلة .. أنتهزت الفرصة فأقتربت منها .. أحست بوجودى .. رأيتها تمسح وجهها بسرعة .. لم أتبين إن كانت تبكى .. وقفت أنظر إلى النيل بصمت للحظة .. ألتفت إليها ثم قلت : أريد أن أعرف نهاية القصة حقاً .. كيف أنتهى بها الحال ؟ أبتسمت بشحوب ثم قالت بلا مبالاة : نهاية عادية .. عادت إلى حياتها .. وجدت عملاً .. أصبحت تقضى فيه معظم وقتها .. تحاول أن تبتسم للناس و هى تداوى الجرح النازف بداخلها .. و

تستقبل حياة جديدة بقلب محطم .. ما رأيك فى قصة تلك المرأة الحمقاء ؟
قلت لها بجرأة لم أظن أنى أمتلكها : هل أعرفها ؟ .. لم تجب .. تجرأت أكثر .. وقفت أمامها مباشرة .. قلت لها بحماس : قصة غريبة و لكنى أرفض النهاية .. لست أراها حمقاء .. بل على العكس أمرأة مخلصة حاولت الحفاظ على بيتها بكل قوة بصرف النظر عما أنتهت إليه الأمور .. بل أظن أنها محظوظة .. لو كان يحبها حقاً ما تخلى عنها فى النهاية . لم تتكلم فواصلت بحرارة : من يدرى .. ربما ما حدث كان فى مصلحة شخص آخر .. شخص أخر يحبها و يتمنى أمرأة مثلها .. شخص لن يضحى بها من أجل أمرأة أخرى مهما فعلت حتى لو جلبت ألف أمرأة إلى منزلها.. لأنه لن يرى ببساطة سواها .. و لن يحلم بأمرأة أخرى و هو معها .. أطرقت للأرض دون كلام .. تابعت كلامى بتهور و أندفاع صادق : شخص مجنون يقف أمامها و هو يصارحها بمشاعره نحوها و ينتظر جوابها .. أبتسمت و هذه المرة لم تستطع أن تمنع دمعة سالت من عينها .. لم تتكلم و إن كان صمتها يحمل كل الكلام .. أسندت يدها إلى السياج بينما وقفت على مسافة قريبة أرقبها بدفء قبل أن يجذبنا منظر النيل و قد أنعكست عليه أضواء الشاطئ

الحاجز

أقتربت من النافذة .. صاحت بفرح : أخيراً جاء

نظرت إليها بغيظ .. راقبتها بدون كلام و هى تعدو مسرعة نحو الباب ترتسم على وجهها تلك الأبتسامة الطفولية البلهاء .. كتمت دهشتى و لم أشأ أن أعلق على تصرفها .. ما زال صدى كلامتها يدوى فى أذنى و هى تشكو لى بمرارة من قسوة معاملته .. و منديلها المبلل بالدموع ما زلت أراه عند طرف المائدة لم يبرح مكانه كشاهد أثبات لا يكذب على معانتها معه .. و الآن تهرع للقائه ! .. بل و أشاهدها تغالب شوقها بصعوبة للأرتماء فى أحضانه .. لم يعد يدهشنى سلوكها .. بمجرد أن يتناهى إلى سمعها وقع خطواته حتى تستجمع نفسها سريعاً .. تنسى أو تتناسى كل ما قالته .. و تستقبله بقلب صاف تطرح سريعاً منه كل معاناتها السابقة معه .. أعلم أنها تعشقه .. و لكن هل حبها مبرر كاف يتيح لها أن تمنحه صك غفران مجانى عن كل أخطائه ، و تضع ما تبقى من كرامتها تحت أقدامه مرة أخرى بشكل مهين يثير الشفقة

نهضت .. لم تلاحظنى و أنا أتجه للباب بعد أن أنشغلت بتعديل زينتها .. أثرت أن أنسل بعيداً .. لا أفضل رؤيتها و هى ترتمى فى أحضان

هذا الـذئب .. مـسكينة هـى .. هـل تظـن أن غفرانهـا المتواصـل لكـل آثامـه سيجعل منه أنساناً أفضل ، و أن تقمصها دوماً لدور الشهيد سيرغمه على أن يعيد حساباته .. أنانى هو لا يجيد التفكير إلا فى نفسه .. كـائن لم يخلـق ليعشق أكثر من ذاته و لا يكفي فضاء العالم بأكمله لأستيعاب حجـم غـروره .. يدهشنى أستسلامها الكامل لأنسان لا يدرك قيمتها و لا يكترث لأى مـن مشاعرها التى تغدقها عليه بلا حساب .. بل و يتعمد أن يجرحهـا بـسخاء يوازى مدى عشقها له .. خرجت من عندها بلا كلام ، سمعت وقـع أقدامـه على الدرج ففضلت أن أستقل المصعد كى أتجنب مقابلته .. لست مثلـها .. لا أستطيع التحكم فى مشاعرى و ما يدور فى قلبى يطلقـه دومـاً لـسانى مهمـا بلغت درجة حدته .. لو قابلته ربما لقنته درساً قاسياً فى كيفية أن يتصرف كرجل و يتوقف عن أهانة من تحبه حتى الجنـون ، و قـد أنـدم علـى ذلـك لاحقاً لأنى وقتها ربما أخسر صديقتى

أعرفها من فترة طويلة .. أكاد أجزم بأنها صديقتى الوحيـدة .. لا أنكـر أنى أخاف عليها خاصة أنها تمتلك قلباً مرهفاً لا يتيح لصاحبه القدرة علـى التكيف وسط عالم قاسى كعالم البشر .. قلب حساس قابـل للكـسر لا تلتـئم جراحه من صدمات العالم بسهولة .. تعرفت عليها قبل عامان مـن زواجهـا .. فى نفس الوقت تقريباً الذى ظهـر في حياتهـا ذلـك المخـادع .. أعتـدنا أن نقضى كثير من الوقت معاً و لم نكن نفترق إلا قليلاً .. منـذ تعرفـت عليـه و

معظم حديثها لا يدور إلا حوله .. غرامها المفاجئ به أثار دهشتى .. أدرك سمعته جيداً .. ذئب نساء لا يسعده أكثر من أن تتضخم قائمة ضحاياه ، و لا يرضى غروره سوى ممارسة لعبة تحطيم القلوب بلا توقف .. أندفعت فى علاقتها معه بشكل أعمى تجاوز كل الحدود .. أنخدعت بمظهره و كلامه الخادع .. لم تدرك أنه صائد قلوب محترف لا يجيد أكثر من التنكر فى ثوب عاشق للوصول إلى هدفه .. حاولت تحذيرها منه عدة مرات و لفت أنظارها إلى ماضيه الملوث لكنها لم تستمع لى .. و واصلت أبحارها نحوه بأستسلام غير ملقية بالاً بكم التحذيرات التى قابلتها فى طريقها

رقيقة هى تفكر ألف مرة قبل أن تتفوه بكلمة يمكن أن تؤذى أحداً .. ما زلت أتذكر جيداً المرة الوحيدة التى خرجت فيها عن شعورها معى ؛ أخبرتها يومها أنى رأيته بصحبة أمرأة أخرى و كنت صادقة تماماً .. لم تتحمل كلامى و كادت تفقد عقلها .. أرتعدت شفتاها و هى ترمينى بالكذب و أتهمتنى بقسوة بأنى أغار منها .. ظهر الأنفعال على وجهها واضحاً قبل أن تنفجر فى بكاء طويل .. طلبت منى وقتها لأول مرة أن أفارقها .. رغم قوة صداقتنا إلا أنها كادت أن تنهار بسبب مكاشفتى لها بحقيقته ، و أستغرق الأمر وقت طويل حقاً لنعود كما كنا .. تعمدت من وقتها أن أكتم أتهاماتى و شكوكى تجاهه ، و أن أتجنب أثارة الحديث حول خياناته لها مرة أخرى

حاولت أن أحذرها من أن تندفع في علاقتها معه دون فائدة .. قرأت أن الحب أعمى و لكنى لم أدرك أنه بهذا الغباء .. من أول لحظة فى علاقتهما و هو يعاملها كدمية يحركها كيفما يشاء .. أستغلها كثيراً .. بريئة هى فى زمن تصبح فيه البراءة عيباً جسيماً يسعى الجميع لمداواته ، و عبئاً يسعى أى شخص للتخلص منه .. لم تعتاد التعامل مع أمثاله و التلون مع كل شخص كما يجيد البشر .. كانت مجرد رقم بالنسبه له يضاف إلى قائمة مغامراته يرضى غروره فيما بعد .. و لكن الأمر تغير بعد أن أدرك قيمة ثراء والدها .. لم تكن لها تجارب أو خبرات .. مجرد حب ساذج على فترات من حياتها لم يرتقى لتلك الدرجة .. خطط لحرب طويلة ليوقعها فى شباكه و لكنها أنهزمت من أول جولة .. أعلنت أستسلامها بعد أن نجح فى أن يحرك قلبها للمرة الأولى فى حياتها .. أندفعت معه بكل مشاعرها .. وقفت بجانبه و ساعدته بلا حدود .. ألححت عليها كثيراً لأعادة التفكير فى علاقة مصيرها الفشل .. ليست علاقة الحب هى ما تنشأ عادة بين الحمل و الصياد و لكنها لم تستمع إلى .. لا أنكر أنى كرهته من اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناى عليه .. و لكن القلب الذى يعشق تشير بوصلته دوماً بأتجاه من يحب فيبحر نحوه حتى لو أدرك أن أتجاهه خاطئاً ..

بعد زواج سريع عارضه أهلها دون فائدة ، أنتقلت للسكن بجوارها .. أزدادت صداقتنا عمقاً بعد أن أكتشفت متأخرة بعد زواجها أن له مخالبا و

أنياباً .. لم أشأ أن أتخلى عنها أنا الأخرى و أتركها فى مواجهة محنتها معه بمفردها .. لو فعلت لأنهارت بلا جدال .. ما زلت الأذن التى تتلقى بصبر كل شكواها و القلب الذى يتسع ليشاركها محنتها .. صدمتها فيه بعد الزواج كانت أكبر من أن تتحملها فانطوت أكثر .. أزدادت نحولاً و ضعفاً مع الأيام و أنا أشاهدها عاجزة .. بدأنا نلتقى بشكل متكرر فى الفترة الأخيرة .. تلجأ إلى عقب كل شجار بينهما لعلها تسكب بعض مما بداخلها أمامى .. بمجرد أن ينصرف حتى تهرع للأتصال بى و تفرغ فى حضورى كل مشاعرها السلبية .. تستعيد بعدها قليل من هدوئها و قوتها لفترة فتتمكن من مواصلة الحياة معه و تحمل أهاناته المستمرة ..

أشعر بالمرارة من خياناته المتكررة لها .. مرارة تدفعنى لمحاولة رعايتها أكثر .. بداخلها طفل صغير يحتاج دوماً إلى عناية لم يفطم بعد على مواجهة عالم تملئه الخيانة .. أشعر بكل ما تقاسيه و أقف عاجزة عن مساعدتها .. كثيراً ما تساءلت .. إلى متى تتحمل كل ذلك .. أستقبلت حياتها معه فى البداية بأشراق على أمل أن يعوضها فزاد من عمق جراحها .. حقيقته الصادمة لها أفقدتها حيويتها وأتزانها فذبلت مع مرور الوقت .. صبرت على أختيارها و تحملت نتائجه لفترة بشجاعة لم أظن أنها تمتلكها .. حاولت أن تستعيده أكثر من مرة و لكنه رفض كل قيودها .. هرب منها بعد أن أكتشف أن دجاجته التى خطط طويلاً لأصطيادها لم تعد

قادرة أن تنتج و تمنحه كالسابق بيضاً ذهبياً ، خاصة بعد أن هجرها أهلـها .. حلق في سمائه بمفرده بعيداً عن فريـسة تركهـا عـاجزة عـن الطـيران .. تحول حبها إلي جنون ، فأستسلمت له لعله يكون أرحم من واقع أشد ألماً لا تجد خلاصاً منه ..

أنتابنى اليأس ذات مرة من أصلاحها فوجهت لها كلامـاً حـاداً لا أدرك كيف تفوهت به ، و أتخذت قرارى بأن أواصل حيـاتى بـدونها .. لم يعـد هناك أمل أنتظره في أصلاحها .. و لكنى علمت لاحقاً أنها أنهارت و وقعت فريسة سهلة للمرض فلم تقدر حتـى علـى مغـادرة الفـراش .. زات شـفقتى نحوها و صممت أن لا أتخلى عنها مجدداً .. حاولت أن أساعدها .. ضـغطت كثيراً عليها و بشكل مـستمر حتـى لجـأت أخـيراً لأهلـها تـشكو منـه .. و لكنهم فضلوا عدم التدخل بعـد أن أختـارت طريقهـا بنفـسها .. و لم تكـرر المحاولة مرة أخرى

حكمى عليه كان صائباً من البداية و تزيدنى الأيام قناعـة بـه .. أنـسان مختل وجد فريسة سهلة فلم يتردد فـى التلاعـب بهـا .. فـى أحـد المـرات أرتنى آثار ضربه لهـا .. لم أصـدق أن يـصل تهـوره و أسـتهانته بهـا لتلـك الدرجة .. لم أتمالك نفسي .. أنفجرت فيها .. بكت بحرقة و هى تعدنى أن لا تقف ساكنة أمام همجيته الغريزية معها مرة أخـرى .. كنـت أعلـم أنهـا تكذب و أنها ستواصل التخاذل أمامه .. وددت لو أذهب إليه و ألقنـه درسـاً

لا ينساه طوال عمره و لكنها منعتنى بصعوبة .. لو كان الأمر بيدى لأقدمت على أى تصرف لأحطم غروره حتى لو وصل الامر إلى أن أحطم رأسه بيدى ..

فى مساء ذلك اليوم تلقيت أتصالاً منها .. لم أفهم معظم كلامها فهرعت إليها على الفور .. تفاجئت بها .. لم أتعرف عليها للوهلة الأولى .. أعز صديقاتى ترتمى أمامى فى حالة يصعب وصفها .. تنتفض خوفاً و تتنفس بصعوبة .. ملابسها ممزقة و الدماء تسيل بغزارة من جرح أعلى شفتيها فتندفع لتغطى النصف الأسفل من وجهها و رقبتها .. و كدمات حديثة تنتشر بوضوح على ذراعيها و أسفل عينها .. بمجرد أن رأتنى حتى أنهارت أرضاً .. أسرعت لنجدتها .. لم تكن فى حالة من الوعى تسمح لها بأن تتكلم و لكنى أدركت ما حدث .. أنتابنى غضب لم أستطع تجاهله .. كنت أكره هذا الشخص من قبل و الآن لم أعد أحتمل وجوده بيننا على أرض واحدة .. حاولت أن تستجمع نفسها لتتكلم و بذلت مجهوداً لذلك فلم تستطع .. ذهبت لأحضر بعض الماء و عدت لأجدها فاقدة الوعى .. مددتها على الأرض و تركتها ملقاة كجثة أقرب منها إلى عالم الأحياء ، و لم أفكر سوى فى شئ واحد .. أندفعت إليه بلا منطق .. أندفعت كالمجنونة بقوة مشاعر حجزتها لفترة طويلة .. سمعت صوته من غرفة المكتب فتوجهت لهناك .. أقتحمت المكتب بثبات .. رأيته يدخن و يحادث شخص ما على

الهاتف بصوت عال .. من صوت ضحكاته أدركت أنها أحد عاهراته .. أنهى المكالمة بمجرد أن أقتحمت المكتب بشكل مفاجئ .. أندهش لوجودى أمامه بهذا الشكل .. لوح بيده و صاح بكلمات غاضبة لم أتبينها فلم أعد قادرة على سماع شئ سوى صوت خفقات قلبى العالية ، و أنين صديقتى الذى ما زال يتردد فى أذنى .. نظرت إليه بثبات و الشرر يتطاير من عينى .. توقف عن كلامه و أنهى مكالمته بسرعة .. تطلع إلى لبرهة ثم تقدم نحوى ببطء و هو يبتسم بسخرية أشعلت مزيداً من النار فى قلبى .. رغم غضبى تجمدت فى مكانى و لم أعرف كيف أتصرف .. تذكرت كل ما حدث لصديقتى .. كل أهاناته المستمرة لها و عذابها على يديه .. و كرهى و بغضى الذى أكنه له من فترة ليست بالقصيرة .. راقبته يدنو منى ببطء .. أقترب منى و أبتسامة أستهتار تتراقص على شفتيه حتى وقف بمواجهتى تماماً .. مد يده تجاهى محاولاً أن يلمسنى .. تطلع لوجهى لثوان ، ثم تحسس خدى دون أن أتحرك .. شعرت بلمسة يده الباردة .. أقشعر بدنى لكنى لم أتحرك .. تجمدت أطرافى فجأة .. أغمضت عينى لبرهه و هو يواصل لمس خدى .. شعرت بتخاذل فتراجعت لخطوة بأستسلام .. شعرت بأنفاسه الحارة تنعكس على وجهى .. ألتصقت بالمكتبة من خلفى .. لم أشعر إلا و يدى تتحسس تمثال صغير ، تمثال معدنى على هيئة فتاة راقصة على رف المكتبة .. تشبثت به بسرعة .. تنفست بعمق لبرهة .. فتحت عينى ثم

بسرعة رفعت التمثال بيدى عالياً لأهوى به عليه .. و لكنه حمى وجهه بيديه و تراجع فى رد فعل سريع قبل أن أحكم ضربتى فلم يصب بأذى كبير .. رأيت نظرات الغضب تطل من عينيه .. أندفع نحوى .. تراجعت خطوة للوراء و فى تلك المرة أحكمت قبضتى على التمثال حتى أصبح كأنه قطعة من يدى .. ما أن أندفع نحوى حتى حطمته على رأسه .. تلك المرة ترنح و بدأ خيط من الدماء يندفع متعرجاً من مقدمة رأسه .. تحولت نظرة الغضب التى كانت ترتسم على وجهه إلى ذهول و يده تتحسس بلا وعى السائل الأحمر اللزج .. أنسال الدم بعدها غزيراً .. لم أشأ أن أتوقف .. تراجع خطوات فدنوت منه و بيدى التمثال .. قبل أن يفيق من صدمته رفعته التمثال لأعلى قدر أمكانى .. تريثت لبرهة ثم هويت به عليه .. صوت مكتوم أنتشيت به .. كررت الضربة دون أرادة أو وعى .. لم أعرف كم مرة رفعت يدى و أنهلت عليه .. حتى بعد أن خمدت حركته تماماً واصلت ضربى له حتى خارت قواى .. نهضت و أنا ألاحق أنفاسى بصعوبة .. تسارعت نبضات قلبى بشكل لم أختبره به من قبل .. غطت الدماء وجهه و تناثرت على جسمى و ملابسى .. نهضت ببطء .. مشيت لحظات فترنحت و كدت أسقط .. تمالكت نفسى بصعوبة .. نظرت للجثمان الغارق فى الدماء بلا شعور .. تقدمت نحو الباب و أنا أستند على جدران المكتبة .. قبل أن أخرج لمحت أنعكاس صورتى فى المرآة .. شئ ما جذب أنتباهى للعودة

إليها .. تقدمت للمرآة و وقفت أمامها لثوان أتطلع لنفسى دون وعى .. وجـه محتنق و يدان ترتعشان و فم مرتجف لكن عيناى تلمعـان بـشكل غريـب لم أره من قبل .. تطلعت للمرآة مرة أخرى بعمق بعد أن أقتربت منها أكثـر .. ثم أرتسمت على وجهى شبح أبتسامة ضئيلة رأيتـها بوضوح

الغريب أنى لم أعد أرى صورتى في المرآه .. كانت تنعكس عليهـا صـورة أمرأة أخرى أشبه بصديقتى ، أمرأة يديها تقطر دماً و كدمات تعلو وجهها و ذراعيها .. على شفتيها أبتسامة ضئيلة .. و خيط من الدماء ينساب بوضـوح من جرح صغير أعلى شفتيها

المقلب

- أنا لا أفكر فى هذا الأمر .. أبعدا عنى

هكذا قالها محمود و هو يشير لنا بالأبتعـاد .. و لكـن كـان فـى عينيـه نظرة أقتناع بما نقوله يحاول أن يخفيها .. غمزت لمحسن فـى يـده خلـسه لكى نواصل عليه الضغط حتى يقع في الحيلة الجديدة التى دبرناها له

نحن الثلاثة أصدقاء منذ الطفولة .. نسكن فـى حـارة واحـدة .. محمـود يصغرنا بعام واحد .. درس في الأزهر و والده أمام مسجد حارتنـا البـسيطة .. نشأ طيباً مثل أبيه .. يتعامل مع الناس بالفطرة و بحسن نية أوقعتـه فـى كثير من المشاكل .. لا نكاد نفترق .. نتقابل أحياناً للصلاة فى المسجد فنصلى وراءه خاصة أن صوته جميل .. يطلقون عليه فى حارتنا الشيخ محمود رغـم صغر سنه .. خبرته فى الحياة قليلة و لم تعركه الدنيا بعد .. و لـذلك كـان صيداً سهلاً لأثنان من العابثين مثلنا أنا و محسن

قال لنا أحد جيراننا مـن قبـل : أنتمـا شـيطانان .. أبعـدا عـن المـسكين محمود

و لكننا كنا نتسلى فقط .. كنا نضايقه و ندبر لـه العديـد مـن المقالـب .. نعترف أننا فى بعض الأحيان كنا نتجاوز الحد .. نوقعه فى مطبات صـعبة

و لكننا لم نقصد من وراءها سوى الضحك .. صحيح أنـه كـان يغـضب منـا أحياناً و لكنه سرعان ما ينسى و يسامحنا .. لا يستطيع أن يحمل فى قلبـه أى شعور سئ تجاه أحد .. و لا فى عقله متسع لبذرة من خبث أو دهاء .. و هذا ما كان يشجعنا

نتذكر يوم أن قرر الذهاب للقاهرة لأول مرة .. أقنعناه بركوب القطار .. حجزنا له التـذكرة .. أوصـلناه إلى القطـار .. ناولنـاه الحقائـب و ودعنـاه .. أنطلق القطار و هو يشير لنا .. و أنطلقت معه ضحكاتنا .. لم يعرف إلا بعد ساعة أن القطار كان متجهاً لأسيوط .. يومها أقسم أنه لن يكلمنـا .. و لكنـه لم يستطع و صام ثلاثة أيام .. و لم نستطع نحن أيضاً أن نتوقف عن مواصـلة مقالبنا له

فى تلك المرة كان الأمر مسلياً فى البداية .. مجرد لعبة .. لا أعلـم متـى بدأت تحديداً .. كل ما أتذكره أننا أجتمعنا فى أحد الأيام بعد الأنتهـاء مـن صلاة العشاء .. جلسنا نتجاذب الحديث كعادتنا فى عدة موضوعات قبـل أن يأتى موضوع الرؤيا الصالحة فى سياق حديثنا .. و بدأ كـل منـا يحكـى عـن رؤية غريبة رآها فى منامه من باب التسلية .. كنا نحكى و نحن نضحك .. و جاء الـدور علـى محمـود .. نظـر لـلأرض و سـكت قلـيلاً فـشجعناه علـى مشاركتنا بالحديث فأمتنع لبرهه قبل أن يستجيب مضطرراً تحت ألحاحنـا المتواصل ..

فى تلك الفترة أنتشرت بشكل مكثف على الفضائيات برامج عـن تفـسير الأحلام .. و كان نعلم أن محمود بدأ فى الأونة الأخيرة ينجذب إلى عدد مـن تلك البرامج و يصدقها .. بل و يتابعها و يدافع عنها بحماس .. بينمـا كنـا نسخر منها أنا و محسن .. و نراها وسائل للنصب علـى النـاس .. و مجـرد هراء لا طائل منه .. أبتسم محمود فى براءة عندما حان عليه الدور .. حكى لنا بعفوية عن رؤية غريبة واتته من فترة قصيرة فقط .. كان يحكى أنه رأى فتاة يعرفها من جيرانه .. و قد أبتسمت له ثم كشفت عن شعرها أمامه رغم المعروف عن تدينها و بعدها مدت له يدها بشئ لا يتذكره و هى تصافحه ، قبل أن تختفى سريعاً من أمامه .. روى لنا الأمر ببساطة شديدة و بتلقائيته المعهودة .. و ظل بعدها يستغفر كثيراً و كأنه أرتكب خطيئة ما .. لم يهـتم محسن بما قاله محمود .. مثل تلـك الأحـلام كنـا نراهـا كـثيراً .. خيـالات مراهقة تنتابنا أحياناً .. و ربما كان محمـود فـى واقـع الأمـر معجبـاً بتلـك الفتاة يكتم أعجابه فحلم بها بلا وعى .. و هنـا فقـط واتتنـى فكـرة لا أعلـم كيف شقت طريقها إلى عقلى بسهولة .. مقلـب جديـد ربمـا .. و هـو الـذى منحنا الطعم تلك المرة الذى نصطاده به .. ساد الصمت بيننـا لبرهـه بعـد أن أنهى محمود كلامه ، فسألته متصنعاً البراءة إن كـان يعـرف تلـك الفتـاة و أهلها جيداً .. أجابنى بحماس : بالطبع .. جيراننـا منـذ أكثـر مـن خمـس سنوات .. رأيته يقترب من الفخ أكثر .. سألته بأهتمام أكبر : و هل تـشهد

على أخلاقها .. رد بحسن نية : أكيد .. بنت ممتازة دون أدنى شك

لم يفهم محسن سبب أسئلتى .. غمزت له أن ينتظر و تعمدت الصمت .. تظاهرت بالتفكير لبرهة .. أستغرب محمود طول سكونى على غير العادة فسألنى عما أفكر به .. هززت رأسى متصنعاً الحيرة قبل أن أقول بهدوء : يبدو من الحلم الذى حكيته يا محمود أنه رؤية صالحة ..

رأيت ملامح الدهشة ترتسم على وجهه بوضوح ، لم يتمالك نفسه فسأل : هل أنت متأكد مما تقوله .. كيف ؟ .. نجحت فى أثارة فضوله إذن .. أردفت : ألم تكن تتكلم منذ قليل عن الرؤية الصالحة .. هذا الحلم به كل شروط و علامات الرؤية الصالحة كما نعرفها بكل تأكيد ..

نظر إلى لبرهه دون أن يتكلم .. رأيته و قد بدأ يفكر فى الأمر .. لم أمهله طويلاً فملت على أذنه قائلاً : أتعرف ما هو التفسير المحتمل له ..

أكتسى وجهه بفضول لم يستطع أن يخفيه .. أقترب منى أكثر يترقب أجابتى بشغف .. قلت له مبتسماً : هذا الحلم ربما يكون علامة مؤكدة بالنسبة لك يا محمود ..

سكت فلم يتكلم .. وجدته يصغى إلى بكل جوارحه .. أكملت بحماس و أنا أميل على أذنه : علامة على أنك ستقترن بتلك المرأة فى المستقبل .. ربما ستتزوجها عما قريب كما يبدو

حاول محسن أن يكتم ضحكة كادت أن تخرج منه و قد فهم ما أرمى إليه .. رمقنى محمود بأستنكار تام محاولاً أن ينهض بعيداً عني .. أقتربت منه .. لن أدع تلك الفرصة تفلت مني .. شددت على يده ثم سألته فجأة : أين تكشف المرأة شعرها ؟ .. لم يرد .. أردفت مجادلاً : أليس في البيت .. أمام أهلها أو زوجها ؟ أجابني بعد تردد : صحيح .. أكملت مفسراً : أنت لست من أهلها بالطبع حتى تكشف عن شعرها أمامك .. إذن لا بد أنك زوجها في الحلم لتقوم بذلك دون حرج .. كما أنها صافحتك بيدها و هذا دليل واضح على الأرتباط .. و أعطتك شيئاً ما ربما يكون خاتم الزواج أو موافقتها على الأمر .. وأنت بنفسك أثنيت على أخلاقها .. و قلت أنهم جيرانك من فترة طويلة .. هذا الحلم علامة واضحة لا تقبل الشك على أنك ستتزوجها ..

فهم محسن الحيلة الجديدة .. كنا نتسلى فقط .. كنا نعرف محمود خجولاً و لم يفكر في الزواج من قبل .. كما أننا كنا ننتقد فكرة أيمانه الغريب بتفسير الأحلام .. و في الواقع لم نكن نعرف الفتاة التي يتكلم عنها .. كل ما نعرفه أنها من عائلة ميسورة الحال و تقدم لها كثيرون بالفعل من قبل و لكنها رفضت كل من تقدم إليها .. كانت سترفض محمود قطعاً فمحمود لا يملك من حطام الدنيا أى شئ يشفع و لو قليلاً لصاحبه .. أرتبك محمود قليلاً بسبب كلامنا و هذا دليل ظاهر على أنه بدأ ينخدع به

.. سرح ببصره بعيداً .. ربما كان يتخيلها الآن زوجة له .. أفاق سريعاً .. هز رأسه بعنف بعدها قبل أن يصيح بغضب محاولاً أنهاء الحديث : لا .. أنا لا أفكر فيها أطلاقاً .. أبعدا عنى

نهض من مجلسه فجأة .. تطلع إلى طويلاً محاولاً أن يتبين مدى جديتى .. تصنعت الجد .. طلب بحسم أن لا نخوض فى هذا الأمر مرة أخرى

سرنا معه بصمت .. أدركنا بوضوح أنه لم يقتنع بكلامنا بعد .. لم نيأس بطبيعة الحال .. كل ما سنحتاجه فقط بعض الوقت و لكننا سنتمكن فى النهاية من أقناعه .. نعرفه جيداً .. عرضنا عليه بتحدى قبل أن ينصرف أن نسأل أحد الشيوخ من المهتمين بتفسير الأحلام .. فكر لبرهه ثم وافق بعد تردد .. أتفقنا على هذا الحل

بمجرد أن أنصرف حتى أنفجرنا فى الضحك أنا و محسن .. و تخيلنا شكل محمود بعد أن يعرف الحقيقة .. ربما ستكون صدمة له تدفعه للتفكير أكثر من مرة و بموضوعية أكبر فى المستقبل قبل أن يصدق أى خرافات يسمعها فيؤمن بها

فى المساء التالى أستعان محسن بأحد العمال .. رجل أشيب يبدو عليه الوقار يعمل كحارس بسيط فى نفس الشركة التى يعمل بها محسن كمحاسب .. و أدعى أنه يجيد تفسير الأحلام .. فى البداية تردد محمود

في قص أى شئ مما حلم به .. تردد طويلاً فى الواقع قبل أن يحكى فى النهاية عن حلمه للتخلص من ضغطنا المتواصل عليه .. بالطبع أخبره صديقنا بما أردنا .. و لتأكيد الأمر أكثر .. حكى له عن أحلام كثيرة مشابهه فسرها و ظهر صحة تفسيره لها فيما بعد .. لم يصدر عن محمود رداً و إن كان واضحاً أن أعتراضه على الأمر بدأ يقل

ظللنا عدة أيام نلح عليه .. فى أحد المرات زل لسانه .. صاح بنا : كيف أتقدم إليها و أنت تدركون جيداً مدى ثراء عائلتها ، و أنا لست كفؤاً لها بأى حال .. أخشى أن أقابل بالرفض من أهلها إن فعلت . فضح محمود ما بداخله ببساطه .. أدركنا أنه بدأ يفكر فى الموضوع بجدية .. و أن خطتنا نجحت

كنا بالطبع ننوى أن نخبره أنها مزحة فى الوقت المناسب .. و لكن حدث كل شئ بعدها بسرعة كبيرة .. سافرت أنا للخارج فى بعثة دراسية بعد عدة أسابيع .. بينما تحصل محسن على عقد عمل فى أحد الدول العربية .. نسينا الموضوع تماماً أو أنشغلنا به وسط أستعدادنا للسفر و أنهماكنا فى الأعداد لخوض تجربة الغربة و بدء حياة جديدة طالما سعينا إليها .. كنا نوقن أن محمود لن يفكر بالموضوع مرة أخرى .. و أنه سينسى الأمر برمته بمجرد أبتعادنا عنه .. تراسلنا فى البداية لفترة ثم أنقطعت أخبارنا عن بعضنا البعض تماماً بعد سنوات قليلة

جرفنا فيضان الغربة .. و شغلتنا مشاكل الحياة عن التفكير إلا في أنفسنا .. عندما رجعت بعد عدة سنوات في أجازة قصيرة كان أول ما حرصت على القيام به هو السؤال عن محسن و محمود .. أكتشفت أن كل منهما غير مكان سكنه .. سألت عن محسن أولاً .. عرفت أنه عاد للوطن منذ شهور قليلة .. وجدت عنوانه بصعوبة بعد أن سألت أحد أقاربه .. ذهبت إليه على الفور يدفعني الشوق لرؤيته .. قابلته في مكان عمله الجديد .. بمجرد أن رآني حتى هرع إلى لقائي بحرارة .. جلسنا بعدها نتكلم بشغف و نحن نستعيد ماضينا .. أدركت من الوهلة الأولى أن صديقي تغير حقاً .. شاب شعره و فقد مرحه القديم المحبب و أختفت تلك الأبتسامة الجميلة التي كانت تميزه .. من الواضح أن سنوات الغربة تركت آثارها القاسية عليه .. تحاورنا طويلاً .. عرفت منه أنه عانى كثيراً في غربته قبل أن يعود بمبلغ مالي لا بأس به يحاول أن يبدأ به حياة جديدة هنا .. بدأ مشروعاً صغيراً يعمل به طوال اليوم بلا راحة .. صارحته بدوري أنني لا أستطيع العودة و الأستقرار في الوطن قريباً رغم تلهفي و شوقي لذلك الأمر .. لن أتمكن من العثور على عمل هنا يوفر لي نصف ما أتقاضاه بالخارج .. و لا نفس المكانة بالطبع أو حتى أخرى قريبة منها .. من الواضح أن الحياة أصبحت صعبة حقاً على كلاً منا

بدأنا نستعيد ذكرياتنا .. تذكرنا محمود .. ضحكنا .. سألت محسن عنه

.. أخبرنى أنه تحصل على عنوانه الجديد من فترة طويلة لكنه لم يستطع زيارته بسبب أنشغاله فى مشروعه الجديد و أعادة ترتيب حياته بعد سنوات الغربة .. لم نفكر طويلاً كعادتنا .. و قررنا أن ننطلق لزيارته فى أقرب وقت

فى اليوم التالى توجهنا لزيارته ، كان العنوان فى حى راق .. عندما سألت طفل يلهو فى الشارع عن العنوان أشار إلى عمارة شاهقة .. نظرنا لبعضنا .. قلت لمحسن : هل يمكن لمحمود أن يسكن أحد شقق تلك العمارة الفاخرة .. لا بد أن الله قد رزقه من وسع .. سألت الطفل عن رقم شقة محمود .. تطلع إلى بعدم فهم لبرهه قبل أن يجيبنى فى براءة بأنه هو صاحب العمارة

تملكنا الذهول للحظات .. ساد الصمت بيننا لثوان .. أشرت لمحسن الذى تسمر فى مكانه من المفاجأة .. أقتربنا من البناية .. سألت البواب عن صاحبها .. أستئذنا لينادى على "الحاج محمود" .. غاب عنا فى الداخل سريعاً فلم نستطع أن نوجه له مزيد من الأسئلة تشبع فضولنا .. لحظات و كان محمود يقف أمامنا .. بمجرد أن رآنا حتى أستقبلنا بترحاب شديد .. لم نصدق أعيننا عندما رأيناه .. أمتلأ جسمه قليلاً و شاب شعره لكنه ما زال يمتلك تلك الأبتسامة الصافية .. يرتدى عباءة فاخرة يفوح منها رائحة عطر غالى بينما يده كالعادة تداعب مسبحته .. نفس مسبحته القديمة كما

نتذكرها .. دعانا بالترحاب إلى شقته الفخمة .. بدأنا نسترجع ذكرياتنا بشوق .. سألنا عن أخبارنا .. لم يتغير قلبه .. ما زال طيباً كما كان .. نقياً كما عهدناه من قبل .. مر الوقت سريعاً فلم نشعر به و نحن نتكلم و نضحك من قلوبنا .. تكلمنا عن المقالب التى كنا ندبرها له فكان يضحك معنا بعفوية بلا غضب .. و لكن ظل تساؤل هام يدور فى أذهاننا و يلح علينا .. سألت محمود فجأة : من أين لك كل هذا يا شيخ .. لا تقل لى أنك ورثت

ضحك بعفوية .. رد ببساطة : أنتما السبب

رددت فى دهشة : نحن .. كيف ؟ قال بتلقائية : نعم .. أسند ظهره للوراء .. أبتسم فى مرح .. سأل بهدوء : أتتذكرون المرأة التى قلتم لى أننى يجب أن أتزوجها .. جارتنا التى رأيتها فى الحلم .

لبرهه لم أتذكر قبل أن أستجمع أفكارى .. كنا قد نسينا هذا الأمر مع مرور الوقت .. أسقطناه من حساباتنا تماماً .. قطع أفكارى و هو يكمل : لقد تزوجتها .. نعم .. أقتنعت بكلامكما بعد فترة أنها رؤية صالحة .. تقدمت إلى أهلها بعد تردد طويل و أنا أقدم ساقاً و أؤخر الأخرى .. من الغريب أنهم وافقوا رغم قلة أمكانياتى المادية .. والدها رجل متدين و قال أنه يهمه الأخلاق فى المقام الأول ، لكنى علمت لاحقاً أن الفضل فى ذلك يرجع فى الواقع إليها .. لم تبدى أعتراض على طلبى ليدها كما حدث مع كل من تقدم إليها من قبل فلم يملك والدها إلا الموافقة .. بعد وفاة والدها .. ورثت مبلغاً

بسيطاً من المال أدخرناه و قطعة من الأرض كبيرة .. قطعة أرض زراعية على مدخل المدينة أهملناها لفترة .. بعد عدة أشهر دخلت الأرض فى حيز العمران .. قدرت ثمنها بمبلغ كبير .. بعناها فوراً بلا تردد .. كان أول ما فعلناه أن سافرنا للحج أنا و هى .. ثم بنينا تلك العمارة بكل ما معنا .. الحمد لله .. لا أنكر أن الله رزقنا من فضله .. و لا يمكنني أن أنسى بالطبع ما حييت فضلكما

خرجنا من عنده بعد ساعة أو أكثر فأصر أن يصحبنا للخارج بنفسه .. ما زلنا فى حالة ذهول مما سمعناه .. لم نشأ أن نخبره أنها كانت مجرد مزحة .. مقلب آخر لنضحك عليه .. سألني محسن هامساً و نحن فى طريقنا للخارج : هل ستخبره بالحقيقة ؟ لم أرد .. أى حقيقة .. لم أعد أجد تفسيراً لما حدث .. أنصرفنا نجهد أذهاننا و نحن نستعيد و نفكر فى كل ما سمعناه بينما محمود ما زال يقف أمام بنايته الضخمة ليودعنا مبتسماً و هو يداعب حبات مسبحته القديمة

الصياد و السمكة

حمل شبكته و خرج ليصطاد ، كان يتمنى أن يرجع اليوم بصيد كبير ، لم يأكل منذ ثلاثة أيام ، تطلع للشباك بترقب يكاد يتوسل إليها ، لن يتحمل الجوع أكثر من ذلك . كثيراً ما مرت عليه أيام مماثلة يخرج و يرجع خالى الوفاض و لكنه يمنى نفسه اليوم بصيد وفير يعوض به جفاء البحر طيلة الأيام الثلاث الماضية .. و إلا سيضطر إلى بيع شباكه ، كل ما يمتلكه من حطام الدنيا . بدأت الشمس تظهر فى الأفق و تعكس أشعتها المبكرة على سطح الماء ، رمى الشباك لأول مرة ، فعادت إليه خاوية ، عاود المحاولة بجهد أكبر و فى كل مرة تخرج له كما رماها كأنما تعانده . زاد القلق بداخله مع مرور الساعات بلا جديد يحمله إليه البحر . قرص الشمس الآن يتوسط السماء و حرارته تلهب جبينه ، و البحر الواسع يصر على أن يبخل عليه برزقه ، واصل العمل بجهد مضاعف حتى أوشك النهار أن ينقضى و لكن ما زال البحر يقف ضده بأصرار ، تطلع لصفحة المياه بأحباط . لا مفر إذن من بيع الشباك . لم يشعر بمرور الوقت إلا عندما بدأ يرى الأشياء بصعوبة ، أعياه التعب ، حتى لو أصطاد الآن لن يتمكن من بيع سمكه بعد أن أنفض سوق السمك ، مع ذلك قرر أن يرمى الشباك للمرة الأخيرة بدافع اليأس ، تركها فى المياه لمدة أطول ، جلس بجوارها يفكر ، يرسم أحلاماً

لعلها تنسيه جوعه ، تمنى لو تخرج له فى تلك اللحظة جنية البحر لتنقذه ، كثيراً ما سمع البحارة يتناقلون أخبارها ، تخرج فى أى صورة لصاحبها ، لم يرها أحد من قبل ، على الأقل ممن يعرفه ، لكنهم يزعمون أنها تلبى لصاحبها كل مطالبه . هكذا كانت الأسطورة تتناقل . تمنى لو تخرج له وقتها فيطلب منها طعاماً و شراباً ، ولا بأس ببعض المال ، يريد أن يسكت أنين معدته ، و يشعر بدفء جيبه بعد طول فراغ . أفاق من تأملاته بعد أن بدأ الظلام يبسط أرديته القاتمة على المكان ، أسرع بإخراج الشباك من البحر ، لا يدرى هل هو من تأثير الجوع أم من حرارة الشمس التى ألهبت رأسه طوال النهار ، أخرج الشباك بحماس و هو يتوقع أن تخرج معها جنية البحر ، يتصورها أمرأة جميلة ذات شعر طويل أصفر و لها ذيل سمكة ، عيونها زرقاء بلون البحر تسحر من يراها ، هكذا كانت والدته تصفها عندما تحكى له عنها . سحب الشباك بقوة و قد دب نشاط مفاجئ فى جسده .. و لكن الشباك عادت إليه خاوية .. تماماً كمعدته .. شعر بقليل من خيبة الأمل لكنه سرعان ما أفاق من أحلامه ، لم يعد يستطيع رؤية يديه بسبب الظلام ، أسرع بطريق العودة إلى الشاطئ . سيبيع الشباك الآن و يشترى بثمنها طعاماً ، و قد يسهر على المقهى الليلة مع الرجال .

رسا بالقارب ، بدأ يلملم شبكته عندما لاحظ شئ ما خطف أبصاره ، شئ لامع ، تنعكس أضواء الشاطئ البعيدة عليه فتجذبه ، أقترب من

القارب .. سمكة صغيرة لم ير مثلها من قبل ، يبدو أنها علقت في الشباك و لم يلحظها بسبب صغر حجمها ، تطلع إليها بفضول ، ألوانها زاهية لا مثيل لها ، تتلوى على أرضية القارب المغمورة بقليل من الماء الراكد و هى تكاد تختنق ، أسرع إلى البحر فملأ دلو من المياه و ألقاها فيه ، قال لنفسه في سخرية : بدلاً من جنية البحر تخرج لى أحد أسماك الزينة .. لن أستطيع أن آكلها و لكن ربما أبيعها لأحد تجار سمك الزينة و أحصل على بعض المال .

حمل شباكه و توجه إلى أحد التجار فباعها له بعد جدال طويل ، لم يحصل على السعر الذى يرضيه و لكنه تحصل على ما يسد جوعه ، تذكر السمكة الملونة ، عاد إلى القارب ، حملها معه و توجه بها إلى بيته ، و فى طريقه أشترى طعاماً و سجائر .

وصل بيته شبه المتداعى ، حاول أن يشعل المصباح و لكنه كان قديم و متهالك حاله مثل حال كل شئ آخر فى البيت ، لم يستجب المصباح لمحاولاته سوى بعد جهد بضوء خافت ، جلس و هو ناقم ، تطلع للسمكة ، و لدهشته .. أشعة المصباح الضعيفة كانت تنعكس عليها فيغمر جسدها الضياء ، لم يرى سمكة من قبل بهذا الشكل ، دنا منها ، لاحظها و هى تتحرك بلا نظام فى كل أتجاه ، عاودته آلام الجوع فأخرج الطعام و بدأ يتناوله و هو يتسلى بمراقبة السمكة بألوانها الغريبة التى لم يشاهد مثلها

من قبل ، أنهى الطعام بسرعة ، كان ينوى أن يتوجه للمقهى الليلـة و لكـن شئ ما جذبه إلى السمكة ، ظل طوال الليل بجوارها يتطلع إليها بأعجـاب و نام دون أن يدرى .

أستيقظ فى الصباح نشطاً ، كانت السمكة ما تزال فى مكانهـا ، و بقايـا الطعام تملأ المكان . قال لها : صباح الخير .. لا بد أنك جائعة . تثائـب ثـم أرتدى ملابسه و توجه للبحر ، و هناك أستقبله مركب على وشـك الخـروج ، لحق به كصياد أجير ، عندما وصل المركب لعرض البحر ، رمى الصيادين الشباك ، أنتظاراً للـرزق بـدأ يحكـى لزملائـه عـن الـسمكة التـى أصطادها بالأمس . أندهش البعض فلم ير أحـد مثلـها مـن قبـل ، أقترحـوا عليـه أن يبيعها لأحد تجار سمك الزينة لعله يجنى من ورائها بعـض المـال . أخـرج الصيادين الشباك ، لدهشتهم كانت ممتلئة على أشدها بالأسماك ، لم يتوقع الصيادين أن يكون البحر كريماً لهذا الحد ، رموا الشباك أكثر من مرة و فى كل مرة خرج الصيد وفيراً . على غير العادة كان المكسب وفيراً ونصيبه كذلك فلكل صياد على المركب نسبة من الربح ، لأول مرة يتحصل علـى مثـل هـذا المبلغ من عمله كصياد أجير، عندما توجه للشاطئ ، أشترى طعامـاً كـثيراً ، تذكر السمكة الصغيرة ، جلب لها طعاما أيضاً ، أسرع بـالعودة إلى منزلـه ، ذهب للأطمئنان على سمكته ، كانت حركتها بطيئة ، رمى لهـا بالطعـام و لكنها لم تأكل ، ضايقه الأمر ، دنا منها ، جلس بجوارها و تطلـع إليهـا ،

سألها فجأة و كأنها تفهمه : لما لا تأكلين ؟ هل الطعام لا يعجبك ؟ . أطلق تنهيدة قصيرة ثم أستكمل : عندما كنت صغيرا كانوا يقدمون لى أحياناً أيضاً طعاما لا أحبه .. و لكنى سأحضر لك طعاما أفضل المرة القادمة . لا يدرى كم لبث من الوقت بجوارها .. و ربما بسبب أرهاق العمل أو بسبب أشعة الشمس التى ألهبت رأسه طوال النهار .. أو بسبب وحدته التى زادت حدتها عليه مؤخراً ، أفترش الأرض أمامها وأنطلق يحكى لها عن حياته ، عن ماضيه و طفولته ، عن أحلامه التى لا تتحقق .. و عن العزلة التى فرضها الفقر عليه فتكاد تقضى عليه . كان وحيداً يشتاق لمن يسمع منه .. و بدأ يشعر أنها تسمعه و تشاركه همومه ، كان يفسر كل حركة من جسمها على أنها أيماءة ، و يرى كل ألتفاته على أنها أستجابه لحديثه ، و لأول مرة ينتابه الشعور أن أحداً يشاركه همومه ، أو هكذا خيل له . لم يكن له أصدقاء يوماً أو زوجة أو أولاد .. و لم يعتاد أن يفتح قلبه لأحد .. الغريب أنه كان يسخر من قبل عندما يتفاجئ بجارته المسنة تحدث قطتها كل صباح بعد أن هاجر كل أبناءها بحثاً عن رزق تعذر الحصول عليه فى قريتهم المعدمة ، لم يكن وقتها يفهم سبب سلوكها بل و يستهزأ به ، و ها هو يقلدها .. شعر بالندم على سخريته السابقة منها . تكلم كثيراً و فى النهاية نام بجوار السمكة .

أستيقظ فى الصباح متأخراً ، ذهب إلى الشاطئ مسرعاً و لكن لم تعد

هناك مراكب ، لم يكن يستطيع الخروج بمركبه الفارغة من شباك الصيد . في النهاية قرر أن يمضى بقية اليوم فى المدينة للتسكع و لشراء بعض الأغراض ، أثناء تجواله مر بأحد محلات أسماك الزينة ، دلف إلى الداخل و وصف لصاحبها السمكة الصغيرة التى أصطادها ، هز صاحب المحل رأسه فى حيرة قائلاً أنه لم ير من قبل سمكة بذلك الوصف ، ربما تكون سمكة نادرة .. عرض عليه مبلغ من المال لشرائها ، و على الرغم من أن المبلغ كان مغرياً بالنسبة إليه ، و لكنه رفض بل و سأله عن طعام مناسب لها ، أشترى الطعام رغم سعره الغالى . فى طريقه للخارج وقعت عينه على حوض صغير للسمك ، جذبه الشكل على الفور .. حوض جميل مطلى بالذهب تنعكس عليه الأضواء فتزيده جمالاً ، شعر أنه صنع خصيصاً من أجل سمكته ، تخيل شكل سمكته فيه لبرهه قبل أن يصطدم بثمنه المرتفع ، وقف أمامه قليلاً مبهوراً ثم عزم أن يشتريه لاحقاً عندما يتوفر له المبلغ الكافى .

عندما رجع لقريته وصلته الأخبار المؤسفة .. البحر الهائج أنتابته نوبة غضب معتادة عصفت ببعض المراكب .. على الشاطئ لمح بعض أهالى القرية يتطلعون للبحر فى حالة ترقب و حزن .. هل كانت مصادفة أنه لم يخرج اليوم للصيد .. عندما عاد لبيته فى المساء مرهقاً ، توجه لرؤية السمكة ، لاحظ أن حركتها بطيئة ، رمي لها الطعام و لكنها لم تأكل منه أيضاً ،

خاطبها بحسرة : لما لا تأكلين .. عرض على صاحب محل اليوم مبلغ كبير حقاً كى يحصل عليك .. هل أبيعك ؟ و لكن إذا فعلت ، من يسمعنى بعد ذلك ، و من يشاركنى وحدتى مثلك .. لا .. لن أسامح نفسى إن قمت بذلك ، و لن أتركك مهما حدث .. بل سأشترى حوض السمك الذى يليق بك بمجرد أن يتوافر لدى المبلغ الكافى .. أعدك بهذا . ظل بجانبها طوال الليل يحكى لها عن يومه ، فى غمرة حديثه تذكر شيئاً فأسرى لها بحماس : هل تعلمين أننى لم أدخن من يومان رغم أنى أبتعت السجائر .. كنت أدخن فقط لأنفث همومى مع الدخان .. يبدو أنى لم أعد أحتاجها لأفرغ همومى .. لم أعد أعانى من الوحدة كما كنت ..

يوماً بعد يوم كان حبه لها يزداد حتى أصبح جنوناً يخشى أن يبرأ منه ، يخاف عليها بشده ، يبقيها بجواره حين ينام حتى تكون أول شئ تقع عيناه عليه حين يستيقظ ، يقضى نهاره يعمل بكد على المراكب و بقية ليله فى المنزل معها ، كان صيده وفيراً على غير العاده و مكسبه كذلك ، أشترى شباكاً جديدة و عاد للصيد على مركبه مجدداً ، يشترى مما يكسبه أحتياجاته البسيطة و يدخر الباقى ليبتاع حوض السمك الذهبى كما تعهد على نفسه .. مرت أسابيع .. و فى أحد الليالى عندما عاد إلى البيت لاحظ أن سمكته راقدة فى القاع و حركتها أبطأ من ذى قبل ، أنقبض قلبه ، تطلع إليها فزعاً دون أن يدر كيف يتصرف . أعتراه خوف شل حركته ، وقف

بجوارها عاجزاً ، راقب حركتها و قد بدأت تخمد ، و ألوانها الزاهية تفقد بريقها تدريجياً ، شعر بالفزع ، و لأول مرة من فترة طويلة ، يشعر بالخوف يجتاحه . خاطبها في توسل : أرجوك أبقى بجانبى .. لا ترحلى .. سأبتاع لك الحوض الذهبى .. أسرع الى الصندوق الذى يدخر فيه أمواله ، جذبه بعنف ، كان ممتلئاً إلى منتصفه تقريباً بالمال ، لم يكن يتوقع أنه أدخر كل هذا المبلغ . قال لها : أنظرى جمعت مالاً كثيراً من أجلك .. سأشترى ما تريدين .. و لكن أبقى بجانبى . و لكن سمكته واصلت رحلة خمودها ، كاد أن يجن ، شعر بضعفه ، وجد نفسه مدفوعاً بعيداً عنها ، ذهب للصلاة ، و عندما أنتهى تحول إليها ، و للوهلة الأولى أدرك أنها رحلت بعيداً خارج عالمه ، لم يكن ضوئها يملأ المكان ، راقدة فى القاع بلا حركة ، أخرجها من الماء ، ثم أعادها إليه بيد ترتعش

ظل طوال اليوم ، بلا طعام ، بلا راحة ، لا يكاد يتحرك من مكانه ، قرر أن يعود بها من حيث أتت ، أستقل قاربه و ذهب لعرض البحر ، إلى أبعد مكان يمكن أن يصل إليه ، برفق رماها فى البحر فلم يشعر إلا بقليل من العزاء

عندما رجع إلى بيته كان متعباً بشدة ، جلس على كرسيه بلا حركة ، تذكر أنه لم يأكل من الأمس ، نظر للمبلغ فى الصندوق الخشبى ، المبلغ المخصص للحوض الذهبى ، أخرجه ببطء و أحصاه ، مبلغ كبير حقاً أدخره

لم يتوقع أن يتحصل عليه يوماً ، فكر ماذا يفعل بكل هذا الكم من المال ، كان ينوى أن يشترى الحوض الذهبى لسمكته ، قال بعزم و كأنه يتخيلها أمامه : سأكون أنساناً جديداً .. لن أخذلك . فى الصباح توجه للشاطئ و قد صمم على فكرة ما طالما راودت خياله مسبقاً ، أشترى مركباً أكبر من مركبه و شباكاً جديدة و طعاماً بوفرة ، أستأجر أثنان من الصيادين ، قرر أن يذهب فجأة إلى عرض البحر ، إلى أبعد نقطة ممكنة حيث لم يتجاوزها صياد ، أقنع الرجال معه بالمخاطرة ، ظل فى البحر يوماً كاملاً ، كان يصطاد بلا كلل ، و عندما عاد كان المركب ممتلئاً على غير العادة ، غامر و ربح فالسمك أوفر فى عرض البحر كما توقع تماماً ، ظل هكذا أكثر من عام ، كان بعض الصيادين يرون أنه مجنون ليخاطر بحياته فى عرض البحر الممتد كصفحة بلا حدود ، لم يعتاد أحد الذهاب إلى هناك من قبل ، يخافون من غدر المياه ، والده خاطر وذهب إلى هناك من قبل و لكن البحر رمى به جثة هامدة ، قالوا عنه أنه مجنون مثل والده و لكنهم فى الواقع كانوا معجبين به ، كان رزقه كبيراً على غير المألوف ، و عندما يعود يلزم بيته ، ينام ساعات قليلة ثم ينطلق فى الصباح مرة أخرى.

أستيقظ يوماً فقرر أن يغامر بفكرة جديدة ، ذهب إلى المدينة و أستأجر سيارة كبيرة ، قرر أن ينقل بها السمك إلى المدن البعيدة عن الشاطئ حيث لا يوجد السمك بوفرة ، كانت فكرته جيدة فربح الكثير من ورائها . بعد عدة

سنوات كان قد ذاع صيته ، تزوج و قرر أن يبدأ مشروعاً آخر ، شارك أثنـان من تجار القرية الأثرياء و قام بأفتتاح مطعم للأسماك فى المدينـة .. أسـتعان بعدد من النساء الأرامل فى قريته ممن أبتلع البحر منهم فى نوبـات غـضبه المعتادة رجالهم فسدت أمامهم كل منافذ الرزق .. من أفضل من زوجة صـياد لطهى الأسماك علـى أى حـال .. خـسر فـى الـشهور الأولى حتـى فكـر فـى التخلى عن فكرته و لكن سـرعان مـا تحولـت خـسارته إلى مكـسب بعـد أن بدأت جودة ما يقدمه تلفت الأنظار و تفرض نفسها فى السوق .. بعد خمس سنوات كاملة أفتتح الفرع الثانى لـه .. ثـم الثالـث بعـد عامـان ، و أشـترى سيارة جديدة لنقل الأسماك بدلاً من سيارته القديمة المتهالكة .. توقف عـن الصيد و تفرغ لأعماله التى تتسع يوماً عن يوماً لتلتهم معظم وقته . سـنوات كثيرة تواترت عليه و هو يعمل بلا توقف حتى أضحى أسمه فى كل مكان ، و كبرت ثروته . أنشأ نقابة للصيادين لتعينهم على الحيـاة ، بيتـه الكـبير بناه وسط القرية ، قرية الصيادين الذين أحبهم و أحبوه ، أنجب العديد من الأبناء و بدأ الشيب يغزو شعره . وهنت عظامه و غـزا المـرض جـسده بـبطء فبدأ يستسلم لـه .. ذات يـوم جذبـه الحـنين للبحـر الواسـع ، وقـف علـى الشاطئ يتطلع للمياه ، يسترجع ذكرياته كلها ، تذكر السمكة الصغيرة التى منحها البحر الغامض له عندما كان يحلم بجنية البحر كى تحقق كل أمانيه ، لم ينسى أن المبلغ الذى أدخره ليشترى لها حوضا ذهبيا هو الذى بـدأ بـه

حياته ، ها هو قد حقق كل أمنياتـه حتـى لم يعـد فـى جعبتـه المزيـد مـن الأحلام ليسعى وراءها .. أبتسم بلا وعى .. عندما حكى قصته لأحد أبنائـه أخبره أنها ربما تكون جنية البحر .. هز رأسـه بقـوة .. هـل كانـت جنيـة دفعته لتحقيق أحلامه بنفسه ؟ أم تراها أوهـام ترسـخت فـى خيالـه بفعـل سطوة أساطير قديمة لم يعد يقبلها العقل ؟ تطلع مرة أخرى للبحر الغـامض الممتد أمامه بلا حدود حائراً دون أن يجد أجابة

هادى [1]

عندما قابلت هادى لم يكن راضياً عن حياتـه .. فوالـده مـا زال يـصرف عليه رغم تخرجه من سنوات طويلـة .. بـل أنـه هـو مـن تكفـل بمـصاريف زواجه .. و رغم أنه يعمل ليلاً و نهاراً إلا أن راتبه لا يكاد يكفى أحتياجاته الشخصية .. و لهذا سافر هادى للخـارج .. و لكنـه أخفـى عـن عائلتـه أنـه يعمل كحارس أمن

و هادى ينحدر من أسرة ثرية .. أبوه هو عمدة القرية التى ولد بها .. و هو المنصب الذى لم يخرج عن عائلته و توارثته من فـترة طويلـة .. و معظـم أراض القرية الخصبة تعود ملكيتها لعائلته الكبيرة .. لهذا كـان مـن العـار بالنسبة إليهم أن يسافر أحد أبنائهم للخارج لكى يعمل حارس أمن

و لم يكن هادى يبحث عن المال عندما فكر فى السفر بقدر ما كان يبحث عن فرصة للأستقلال عن عائلته ، و أثبات قدرته على النجاح بعيداً عنهم .. فهادى منذ تخرج من كلية التجارة من فترة طويلة حيث نشأت قـصة حـب بينه و بـين زميلـه لـه فـى الكليـة لـسنوات ، حـاول أن يبحـث عـن عمـل كمحاسب ولكنه لم يوفق .. حتى عندما وجـد عمـلاً فـى شـركة كـبرى فـى

---

[1] القصة مبنية على أحداث حقيقية

المدينة لم يكن راتبه يكفى أحتياجاته الشخصية .. فهادى شديد الأهتمام و العناية بمظهره بحكم أنتمائه لعائلة ثرية .. و لولا مصروفه الذى ما زال يتلقاه من والده ما تمكن من الأنفاق على نفسه .. و مرت ثلاثة أعوام كاملة .. و فتاته ما زالت تنتظره .. و هادى ما زال يحاول أن يثبت نفسه بلا فائدة .. و بدأ صبرها ينفذ .. و طموحه يقل .. و لم يحقق شيئاً مما كان يحلم به ..أضطر أن يرجع إلى قريته محبطاً ليعمل فى حسابات والده .. الامر الذى أسعد الأب و كان يتمناه من فترة .. و طلب هادى بحرج من والده أن يساعده في مصاريف زواجه .. و لم يمانع الأب .. و تم الزواج سريعاً .. و أنجب بنتاً جميلة .. و مرت أربع أعوام أخرى .. و بدأ هادى يتبرم من القرية و من العمل .. كره أن يعيش دوماً فى ظل أبيه .. ليست تلك أحلام العمل التى طالما راودت خياله و كان يطمح إليها .. و بدأ يضيق بحياته .. و مما زاد قسوة هذا الشعور بداخله أنه ما زال يحصل على مصروف من والده بعد أن زادت نفقات معيشته بقدوم أبنته .. و رغم ذلك لم يحاول أن يتوقف عن أرتداء أغلى الملابس و الظهور بأفضل صورة .. فقد أعتاد أن يكون مثال لشباب القرية فى الأناقة و محط أعجاب الناس فى قريته .. و ربما كان ذلك هو النجاح الوحيد الذى حققه فى حياته و لهذا ظل يحافظ عليه

و قرر هادى أن يبحث عن فرصة سفر .. لا يدرى كيف راودته الفكرة .. ربما لأنه رأى الكثير من شباب القرية المعدم يسافر ثم يعود بعد سنوات

قليلة و قد طرق الثراء أبوابهم .. فيقتنون أراض و يقيمون مشاريع .. و ربما لأنه أراد أن يثبت للجميع أن بأستطاعته النجاح بعيداً عن أهلـه .. و بحـث هادى كثيراً و طال بحثه .. و شعر باليأس أن يجد عملاً يناسبه خاصة أنـه لا يمتلك رصيد كاف من الخبرة يتيح له أيجاد أى عقد عمل مناسب .. و فى زيارة له لصديق عاد للتو من الخـارج ، حكـى لـه صـديقه كيـف سـافر فـى البداية كعامل بسيط فى شـركة صـغيرة ، و تحمـل لـسنوات قليلـة قبـل أن ينجح فى العثور على فرصة العمل التى يحلم بها .. و أعجب هـادى بفكـرة صديقه ، و أستولت على تفكيره .. فكر أن يسافر فى البداية علـى أى عمـل مهما كان بسيطاً .. ثم يبدأ فى البحث بعدها عن فرص عمل أفضل له هنـاك بعد أن يستقر و يلم بأحوال البلد .. قرأ بعدها بأيام عن وظيفة لحراس أمن فى أحد الدول الخليجية .. تقدم لها بتردد دون أن يخبر أحـداً .. و تمت الموافقة عليه سريعاً .. أعد نفسه للسفر وسط طموحه بأن تكون تلـك الفرصـة أول خطوة على الطريق الصحيح .. و سافر وسط وداع حار مـن أهلـه بعـد أن أوهم الجميع أنه حصل على عقد عمل كمحاسب فى أحد الـشركات الـصغرى هناك

و فى الغربة تبخرت أحلامه سريعاً .. وجد نفسه تحت رحمة كفيل لا يرحم .. و ساعات العمـل الطويلـة التـى تـصل إلى أثنـى عـشر سـاعة يوميـاً أرهقته و لم تتح له الفرصة للبحث عن عمل آخر .. زاد من همومـه متاعـب

السكن حيث يقيم هو و سبعة من زملائه في غرفة واحدة ضيقة فـى منطقـة شبه نائية .. فضلاً عن الوقوف على قدميه لـساعات طويلـة يقاسـى الحـر و أشعة الشمس .. و تحمل هادى ظروفاً لم يعتادها من قبـل .. و رغـم حياتـه المترفة من قبل لم يستسلم للظروف الصعبة التى يواجهها و صمم أن لا يفشل سريعاً .. لن ترحمه أعين الناس عندما يعود خائباً .. و لن يغفـر لنفـسه أن يظل فاشلاً يعيش على أحسان أبيه .. و تنقل هادى بين عدة مواقـع لا يكـاد يستقر فى أى منها .. مرت شهور و بدأ جسمه يهزل .. و صـبره يقـل .. و بدأ يفكر جدياً فى العودة .. قبل أن يستقر به المطـاف للعمـل كحـارس فـى فندق كبير .. وهناك رأى عالماً لم يكن يحلم برؤيته .. و سحره عالم الفنـدق الفخم .. و أبتسمت له الدنيا قليلاً بعد أن وجد أن ظروف العمل فـى الفنـدق أفضل من غيرها من الأماكن الأخرى التى عمل بها .. تحسنت حالته و بـدأ يستعيد عافيته تدريجياً .. كسب ثقـة الجميـع بعـد أن لاحظـوا أخلاصـه و تفانيه في العمل .. ترقى سريعاً و حصل على أمتيازات عدة .. وأتيحت لـه الفرصة لتكوين علاقات مع كثير من العاملين بداخل الفندق .. كـان أحـدهم محاسباً مصرياً توطدت أواصر الصداقة بينهما بسرعة .. و عندما حكـى لـه هادى عن ظروفه وعده أن يساعده .. نصحه فقط بالصبر قلـيلاً حتـى تنتهـى مدة كفالته .. و أكد له أن فرص العمل متوافرة .. و برواتب كـبيرة لا يحلـم بها

و شجع هذا الكلام هادى و أحيا فيه الأمل .. و بدأ يحلم مرة أخرى بالنجاح .. و رسم أحلاماً عريضة .. كان قد مر عليه سنة و بضعة أشهر .. عليه الأنتظار سنة أخرى حتى يحقق أحلامه .. و لن يكون ذلك صعباً عليه بعد أن أعتاد الغربة .. كما أنه بدأ يحقق بعض النجاح و لا يريد التخلى عنه .. نال ثقة مديريه حتى أنه أنتقل للعمل داخل الفندق بدلاً من الوقوف على الباب الخارجى حيث المعاناة من حرارة الشمس و الرطوبة الخانقة .. و بدأ راتبه الهزيل يزداد تدريجياً .. و تخلص من مصاريفه الشخصية .. حيث لا يحتاج للتباهى بمظهره هنا فهو لا يرتدى فى العمل سوى الزى المفروض عليه .. و بدأ يرسل معظم راتبه لزوجته .. و لأول مرة لم يعد يطلب من أبيه مصروفاً لينفق على أسرته الصغيرة .. صحيح أنه كان يشتاق لرؤية أبنته الحبيبة و زوجته .. و لكن صمم أن لا يعود حتى يتسنى بناء مستقبل أفضل لهما .. كما أنه يحدثهما بشكل مستمر .. و يمكنه الحصول على أجازة بعد بضعة أشهر للعودة للوطن و رؤية أسرته ..

وأستمر هادى فى محادثة أسرته كل فترة للأطمئنان عليهم .. و كان يحادث بعض أصدقائه المقربين أحياناً على مواقع التواصل الأجتماعى التى كان شغوفاً بها .. كان يوهم الجميع أنه يعمل كمحاسب فى شركة محترمة رغم ضعف الراتب من أجل أكتساب بعض الخبرة تفيده لاحقاً .. و أنه أنتقل للعمل الآن فى فندق كبير بنفس الوظيفة .. و لم يشك أحد فى كلامه .

و بدأ هادى يعشق عمله داخل الفندق ، و ساعات تواجده فيه .. فالفندق الذى يعمل به من الفنادق المعروفة التى يقصدها كبار الشخصيات .. و هادى نفسه قابل الكثير منهم أثناء عمله .. مطربين مشهورين و ممثلين و رجال سياسة معروفين .. و لكن لم يحاول هادى الأحتكاك بأحد منهم طبقاً لسياسة الفندق .. و أنتشرت الأخبار يوماً ما عن أقامة بطولة عالمية لكرة القدم داخل الدولة التى يعمل بها .. و أن أكثر فرق العالم شهرة ستأتى للمشاركة فى تلك البطولة .. و لأن هادى يحب كرة القدم بجنون .. تمنى فقط لو بأمكانه حضور أحد تلك المباريات و رؤية نجومه المفضلين

و توجه هادى يوماً للعمل ليتفاجئ بأستعدادات ضخمة تجرى فى الفندق على غير المألوف .. و عندما سأل عن السبب أبلغوه أن الفندق تم أختياره ليستضيف بعض فرق البطولة .. نظراً لشهرته من ناحية ، و لقربه من ملاعب التدريب من ناحية أخرى .. و لعدة أيام ظلت الأستعدادات فى الفندق تجرى على قدم و ساق .. و الكل فى حالة تأهب لأستقبال الحدث الهام

كانت مفاجاة سارة لهادى عندما علم أن فريقه المفضل – برشلونة – من الفرق التى يستضيفها الفندق .. كاد أن يطير من الفرحة .. لم يكن يتمنى من أيام قليلة سوى حضور أحد مباريات الفريق العالمى لرؤية لاعبيه المفضلين من الملعب .. و لكن الآن يمكنه رؤيتهم يومياً عن قرب .. بل و ربما تتاح له

الفرصة للألتقاء بهم و التحدث معهم وجهاً لوجه .. و لم يعد ينام .. أصبح يعد اللحظات لقدوم الفريق .. خاصة و أن ذلك الساحر الصغير لاعبه المفضل – نجمه الأثير الذى يتابعه دائماً – سوف يكون متواجداً مع الفريق

وصل الفريق قبل الدورة بأيام قليلة .. و بدأ الفندق أتخاذ أجراءات حازمة غير معتادة .. فالفندق أضحى مقصد العديد من الصحفيين و المعجبين ممن حاولوا بكل الطرق أختراق الحصار و مقابلة اللاعبين .. و تم تغيير مكان هادى ليتولى الحراسة من خارج الفندق .. و أغضب هذا هادى .. فلم يعد يستطيع مقابلة أى لاعب .. خاصة و أن كل تحركاتهم تتم بحساب .. و تحت رقابة شديدة لم ينجح فى أختراقها

و مضى يومان .. ثم قارب أسبوع على الانتهاء .. و هادى يتحين الفرصة المناسبة دون جدوى .. فهو لا يرى الفريق إلا عند مغادرته أو عودته للفندق .. و تابع مباريات البطولة من خلال التلفاز .. و رأى تألق لاعبه المفضل فى أولى مباريات البطولة .. و زاده هذا تلهفاً على مقابلته .. و لكن كل محاولاته باءت بالفشل .. و كاد اليأس يتسرب إليه مع توالى المباريات و أقتراب البطولة من نهايتها .. و لكن كان للمصادفة دور آخر

استدعاه مديره إلى مكتبه يوماً فهرع إليه .. كان هادى فى طريقه للمصعد عندما رآه .. نجمه المفضل .. يتبادل الحديث مع بعض نزلاء الفندق و يلتقط عدد من الصور معهم .. لم يصدق هادى عيناه .. وجد نفسه يندفع

إليه بلا تردد .. لم يعد يهمه قوانين الفندق .. نسى أو تناسى كل واجباته .. أسرع إليه غير مبال بشئ .. طفق يسلم عليه بحرارة بينما أبتسم اللاعب بأرتباك و هو يرى أندفاع ذلك المعجب المتحمس نحوه .. كانت كل ملامح الفرحة و الحماس ترتسم على وجهه .. و بسرعة و قبل أن يراه أحد من رؤسائه .. أخرج هاتفه النقال و طلب من النجم ألتقاط صورة معه .. لم يكن هادى يتقن لغته فأستخدم يديه للأشارة .. و فهم اللاعب .. وقف هادى بجانبه يبتسم بعدما طلب من أحد العابرين ألتقاط صورة لهما .. وعندما لمع فلاش الكاميرا .. كان هادى يبتسم بفخر و هو فى قمة سعادته .. صافح النجم بعدها بفرح و أنصرف بسرعة

لم يتمالك هادى نفسه .. لم ينتظر العودة لمنزله .. تملكه الحماس بشدة و بدون تفكير أستخدم هاتفه ليضع الصورة لتتصدر حسابه الشخصى على الفيسبوك حتى يراها كل أصدقائه .. لن يصدقوا أن أبن قريتهم يقابل نجوم العالم و يلتقط الصور معهم .. و لأول مرة يشعر فى حياته بالفخر .. و أنتظر بشغف رد فعل أصدقائه على الصورة

و أحدثت الصورة أثرها بالفعل .. و بسرعة أنتقلت بين شباب القرية .. كانت العيون تطالعها بذهول .. ولم يعد هناك حديث فى القرية سوى عن صورة هادى أبن قريتهم الأنيق مع اللاعب المعروف .. كان هادى يقف فعلاً بجانب أسطورة كرة القدم واضعاً يده على كتفه .. و لم يكن هناك شك أنه

هو النجم العالمى .. و لكن لم يكن ذلك هو الشئ الوحيـد فـى الـصورة الـذى لفت الأنتباه .. كان ما جذب أنتباههم حقاً و بشدة هو صورة هادى نفسه .. أبن العمدة .. يرتدى زي أزرق مميز مكتوب عليه بخط واضح - حارس أمن - باللغتين العربية و الأنجليزية .. تحته شعار شركة الأمن و أسمهـا .. و هو يتطلع للكاميرا و على شفتيه ترتسم أبتسامة ثقة رائعة

الفهرس





يلتفت إلى زوجته التى تقف فى منتصف الشقة و حولها مجموعة من أقاربه و أصدقائه .. تمسك بيديها كيكة كبيرة مكتوب عليها أسمه بينما الزينة تملأ جنبات منزله .. تذكر أن اليوم عيد ميلاده .. نسى ذلك تماماً .. زوجته أرادت صنع مفاجأه خاصة له .. تعلم أنه يحب المفاجآت كثيراً .. لم يتوقعها حقاً .. تسمر الجميع فى أماكنهم و هم ينظرون إليه بدهشة بعد فاصل السباب الذى أندفع منه ، و أنطلق من فمه بلا حساب ..

رقم الإيداع: 11999 - الترقيم الدولي 978-977-810-008-2

